

عطور الشرق

عطور الشرق

إشراف
هنا بوغنيم وأنياس كارايون



SKIRA

هيئة المتاحف
Museums Commission



وزارة الثقافة
Ministry of Culture



INSTITUT
DU MONDE
ARABE
المعهد العربي
للدراسات والبحوث

المتحف الوطني السعودي
THE NATIONAL MUSEUM



المحتويات

9	كلمة افتتاحية صاحب السموّ الأمير بدر بن عبدالله بن فرحان آل سعود وزير الثقافة	78	وردة دمشق إيلودي فيغورو
11	تمهيد جاك لانغ رئيس معهد العالم العربي	82	العنبر والأساطير حول أصله تيري بوكيه
13	معرض عطور الشرق. كلمة القِيمَتَيْنِ الفَيَّيْتَيْنِ آنياس كارايون وهنا بوغنيم	الجزء الثاني التطّيب بالعطر	
23	عالم العطور عبد الوهاب بوحدية	87	صناعة العطور التقليدية ستيرين لو ماغير-جيلون
29	من العطر إلى الرائحة والانفعالات، دور الشّم رولان سالييس	103	الصفحة البيضاء كريستوفر شيلدريك ماري دومينيك لوليافر
34	شجاعة الشّم ماتيلد كاستيل	113	الإحساس برائحة الفن: تاريخ (شخصي) مختصر لفن الشّم (العربي) أشرف عثمان
الجزء الأول الطبيعة السامية والسحيّة		120	دعوة إلى السفر: الشرق وصناعة العطور المعاصرة أوجيني برينو
39	الراتنجات والنكهات إليزابيت دودينيه	125	العناية بالجسد
47	المواد الحيوانية في العطور أنيا هـ. كينغ	129	عطور الروحانية
55	طرق تجارة العطور الطرق في شبه الجزيرة العربية وطرق آسيا ستيرين لو ماغير-جيلون	العطر لباقة	
63	مصادر العطور ومصدّروها دومينيك روك	135	تعطير الضيوف
73	العود عطر من الجتّة داميان شوارتز	147	استنشاق نكهات الأطباق
		151	مادة تزيينية فانية
		156	لائحة بالأعمال
		162	المراجع باللغة الأصلية Bibliographie générale

كلمة افتتاحية

تستضيف وزارة الثقافة معرض "عطور الشرق"، في أول محطة دولية له بعد أن نظّمه معهد العالم العربي في باريس، ويُعدّ هذا المعرض تجربة استثنائية تأخذ الزوّار في رحلة شيّقة لاستكشاف تاريخ صناعة العطور في الشرق والعادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية المرتبطة بها. وإذا كانت ثقافة العطور متأصلة في الشرق، فإنها تتجلّى روعة وجمالاً في كافة جوانب الحياة في المملكة؛ حيث تُشكّل عنصراً رئيسياً من العادات والتقاليد والتراث الثقافي غير المادي، وتعكس الهوية الثقافية الفريدة والذوق الرفيع للسعوديين.

ومن خلال هذا المعرض الذي تقيمه وزارة الثقافة بالشراكة مع معهد العالم العربي في باريس، سيقدّم المتحف الوطني السعودي في الرياض مجموعة واسعة من الأعمال التراثية والمعاصرة التي تروي قصة العطور وقيمتها في التراث العربي والحضارة الإسلامية.

صاحب السموّ الأمير بدر بن عبدالله بن فرحان آل سعود
وزير الثقافة



تمهيد

فم بزهة في مسقط أو جدّة أو القاهرة أو تونس أو مراكش، دَع حواسك مُتيقّظة ولن تستغرق وقتاً طويلاً لتلحظ هنا عقداً أو منديلاً مُضخّخاً بماء الرّهر، وهناك أيضاً أشياء معظّرة، وباقات رائحة من الياسمين والنرجس وأزهار البرتقال، من شأنها أن تدهشك وتبعث الفرح في قلبك أثناء تجوالك. إنّ كل دعوة تتلقاها، أو زيارة تقوم بها تشكّل دوماً مناسبةً لتعظّر أو لتعطيّر الصّيف أو تبخيره، قبل أن تنتشي بروائح القرفة والعسل واللوز والنعناع... التي تصنع عجائب المطبخ العربي. نحن أيضاً نتذوق بأنوفنا! بالأمس كما اليوم في العالم العربي، يكمن الاستمتاع بالعطور في المشاركة! من هنا، قرّر معهد العالم العربي الاحتفاء بحضارة العطور هذه، المُغرقة في القدم، والتي لا تزال مع ذلك تنبض بالحياة. في الشرق، للعطور والأعشاب تاريخ طويل. ف”الجزيرة العربية السعيدة”، كما وصفها الرومان، هي قلب هذه الحضارة التاريخي والجغرافي. إنها المكان الذي انطلقت منه تجارة التوابل والموادّ العطريّة منذ آلاف السنين، إن لم يكن منذ الأزل، وهي أرض الوعود والأساطير المرتبطة بهذه الثروات الخيالية.

يُعبّر طريق البخور الأسطوري الجزيرة العربية ويقدم للعالم عطرًا سامياً: البخور. ومن خلال موانئها أيضاً يصل العود الإندونيسي العجيب ومسك جبال الهمالايا الأسطوري والعديد من الروائح الأخرى. إنّ هذا الفضاء هو مركز حضارة الروائح الزكية التي ستنتشر بعد ذلك من سواحل المحيط الأطلسي إلى ضفاف الفرات. وإذا كان القدماء قد خصّصوا البخور والعطور للممارسات الروحية، فإن الثقافة العربية الإسلامية سوف تقدمها للبشر وتمنحهم الحصرية في هذا المجال.

تروي العطور النادرة والمرغوبة بشدة قصة المجتمعات والأفراد. فتقافة العطور في أرض العرب مرهفة وشاعرية وتستدعي جميع الحواس. إنها فن حياة يُمارس ثقافياً واجتماعياً. ذلك أنّ الممارسات المرتبطة باستخدام وتصنيع العطور تُشكّل الأطر الاجتماعية والاقتصادية في المدينة.

ينبض العطر بالحياة ويعلق في الذاكرة، ويواكب كل مرحلة من مراحل الحياة. وسواء كان عطراً ثميناً أو عطراً طيباً، أو وقائياً فإن اللغة العربية بما تتسم به من شاعرية رائعة جعلت من الممكن اختياره وإهداءه والاستماع إليه. العطر يتحدث إلى نفسه وعن نفسه.

ويعني استكشاف تاريخ العطور حديثنا عن الإنسانية وسعيها المتواصل إلى تحقيق الانسجام. كما أنه يتيح لنا فهم فنّ يعود لآلاف السنين، فنّ التمتع بجماليات الحياة. فمن حقول العطور النادرة إلى ورش العطارين، ومن شوارع المدينة القديمة إلى الحفّامات، ومن الفضاء المقدس إلى قلب المنزل، تشكّل العطور، كما كتب عبد الوهاب بوحدية عن حق، ”مصالحة دائمة للإنسان مع نفسه، ومع الآخرين، ومع الطبيعة“.

جاك لانغ
رئيس معهد العالم العربي



معرض عطور الشرق. كلمة القِيمَتَيْنِ الفَيْتَيْنِ

آنياس كارايون وهنا بوغنييم
القِيمَتَانِ الفَيْتَانِ على المعرض،
مسؤولتان عن المجموعات والمعارض في معهد العالم العربي

لدى العطارين، كانت هناك روائح نافذة، روائح تخلط
المسك بالعنبر الأصفر أو الرمادي والبخور والكافور وغيرها من العطور.

ألف ليلة وليلة، (الليلة 574)

زواج سعيد يربط ما بين العطور والعالم العربي منذ زمن طويل.
كان العالم العربي منذ القدم مهد حضارة الروائح العطرة، نظراً لمكانة
العطور المهمة، والمتأصلة، والغنية بالمعاني. تعود العلاقة المتينة بين العطور
والعالم العربي إلى الثقافة التجارية في الجزيرة العربية القديمة، أرض البخور
والمزّ، التي جعلت من تبادل المواد العطرية مصدر ثروتها وشهرتها. فكانت
للطور مكانة مميزة عزّزتها التقاليد الإسلامية، إن النبي محمد (صلى الله عليه
وسلم) الذي كان يعيش في بيئة مفعمة بالعطور والذي تأثر بالمكانة التي
تحتلها الروائح في مسقط رأسه، رأى في العطور هدية من الله للإنسان. كما
كان يعتبر الرائحة الطيبة دليلاً على حسن الخلق. ولما كان حاملاً لثقافة العطور،
فقد ارتقى بالعطر ليجعل منه قاعدة في أدب السلوك، وفي أسلوب تذوّق
جمالية الحياة.

وقد اتّسمت العطور منذ ذلك الحين، برمزية قوية، ولا يزال دورها في حياتنا
اليومية فعّالاً إلى حدّ كبير حتى يومنا الرّاهن. إنها تتغلغل في الممارسات الثقافية
والاجتماعية والخاصة. فالعطور والمراهم والزيوت والبلاسم والمياه المعطرة
والبخور كل ذلك نجده في العديد من جوانب الحياة: في الرفاه ومستحضرات
التجميل، وفي الضيافة والعيش المشترك، وفي فن الطبخ وفي الطب، وفي
طقوس العبادة... وفي بعض الأحيان، يكون للمواد الخام نفسها فوائد في العلاج
والوقاية والطهي، تفوق دورها في مجال التجميل والتعطير.
وعلى هذا الأساس، يسعى المعرض إلى تسليط الضوء على أهمية العطور
في الثقافة العربية وتاريخها، وكذلك إلى استعادة الذكريات الشمية وإيقاظ
الخيال من خلال مخاطبة الـ”أنا“ العميقة.

3
دينيس دابلو
الخصاد في مرتفعات الأطلس
المتوسط
الأطلس المتوسط، المغرب
2015





جهاز الشم (تفصيل)
إستوديو ماجيك

تتشكل في أمعاء حوت العنبر الذي يعيش على سواحل اليمن وعمان وعلى شواطئ المحيط الهندي.

تكتفت التجارة خلال العصر العباسي، وامتدت لمسافات طويلة فدخلت الخلاصات العطرية الجديدة في صناعة العطور والأدوية. وكانت التوابل التي تمنح المطبخ الشرقي نكهته وتميزه، تأتي في أغلب الأحيان من مزارع الهند أو الجزر الإندونيسية أو من شبه جزيرة الهند الصينية. ويُعد المسك المادة العطرية الأكثر شهرة في الحضارة العربية الإسلامية، وقد وُصف في القرآن الكريم بأنه رائحة من الجنة، واقترن في الشعر العربي بطيب الطيبين. وكان يُجمع من ذكور الطرغول أو الأيل القاربي في مرتفعات التيب. أما خشب العود، الذي يُعتبر من أفضل البخور في الدول العربية، فينمو في غابات جنوب شرق آسيا.

ثم يكتشف الزائر الزهور والنباتات العطرية المزروعة في جلّ أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط. وهي تنمو على مشارف المدن، ولا حاجة بالتالي إلى الذهاب بعيداً من أجل قطعها. يُستقبل الزائر على بساط يبلغ طوله ستة أمتار، وهي قطعة رئيسية من مجموعة الخليلي، تجعل البصر يتجول في حقل كبير من الزهور.

ولإبهار الزائر، يهدف هذا المعرض إلى إثارة المشاعر من خلال البصر والشم.

تتخل هذه الرحلة نماذج للروائح الزكية توضح هذه الفكرة وتقود الجمهور إلى اكتشاف الخلاصات المستخدمة في العطور في العالم العربي. ولذلك كان التحدي الذي يواجه المشروع هو التفكير في بث نفحة من العطر في هذا التجوال واستخدام الأجهزة المبتكرة لمواكبة الزائر في هذه التجربة. عدد قليل من المعارض حتى الآن قدمت زيارة شمّية تتناسب على نحو متوازن، مع الخطاب العلمي وعرض الأعمال الفنية. ولمواجهة هذا التحدي، قمنا بالاستعانة بكريستوفر شيلدريك، وهو المشهور بطاقته على الشم، الذي عمل بالتعاون مع شركة غيفودان، الرائدة عالمياً في تصنيع الروائح. ومن أجل تقديم حلول إبداعية وإثارة مشاعر مختلفة، يرافقتنا أيضاً "ستوديو ماجيك". هكذا يكون الزائر أحياناً نشطاً وينقاد للتفاعل مع أجهزة تعليمية معينة، وفي مكان آخر، قد يتفاجأ بانتشار رائحة تُغيّر من إدراكه للفضاء الذي يجد نفسه فيه. كما يُسهّم البعد الشعري لمقترحات "إستوديو ماجيك" في إقامة حوار مع الأعمال الفنية المعروضة. يقدم العرض أعمالاً من العصور القديمة وحتى عصرنا الزاهن. فالاستخدامات المختلفة المرتبطة بالعطور في المجتمع العربي قديمة جداً وما زالت حيّة حتى اليوم. لذلك كان من المهم أن نقدّم قطعاً فنية من أنماط وفترات مختلفة وأن نقيم الحوار فيما بينها.

من وجهة نظر سردية، تمّ تصوّر هذا المعرض كما لو أنه تجوال شخصي. يتبع الزائر طريقاً تمتدّ من العام إلى ما هو شديد الخصوصية. سيناريو أشبه بمسافر يصل إلى ضواحي المدينة ويكتشفها شيئاً فشيئاً. يعبر الضواحي، ويدخل المدينة، ويسير في شوارعها، ثم يذهب إلى منزله أو إلى منزل مُضيفه. ويكتشف الزائر في هذه الرحلة عبر أماكن مختلفة، من العامة إلى الخاصة، عادات وحكايات عن العطور واستخداماتها.

يُفتتح المعرض بشاشتين كبيرتين تدعوان الزائر إلى الانغماس في فضاء رحلة تأخذه وسط مناظر طبيعية شديدة التنوع تُزرع فيها بعض المواد الخام التي تُستخلص منها العطور العربيّة.

في الجزء الأول من المعرض، يكتشف الزائر المواد الخام الأكثر ارتباطاً من حيث رمزيّتها بالعالم العربي، وروائحها وأصولها، وهي تُعرض جنباً إلى جنب مع القطع المتحفية في سينوغرافيا تذكّرنا بخزانة الفضول. يأتي المر واللبن من نضج الأشجار مثل شجرة اللبان المقدس *Boswellia sacra* وشجرة المرّ الحجازي *Commiphora myrrha* التي تنمو في الصحراء القاحلة جنوب شبه الجزيرة العربية. فمنذ العصور القديمة ونظراً لموقعها عند مفترق طرق التجارة بين الشرق والغرب، زوّدت شبه الجزيرة العربية أسواق حوض البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط بمنتجات مرغوبة جداً وذات قيمة عالية.

كما يكتشف الزائر مجموعة من المواد الخام الأخرى الغامضة والتي طالما غدّت المخيلة وأدب العجائب على غرار العنبر، تلك الكتلة الصلبة التي



4
مبخرة ثلاثية القوائم
مصر
القرنان الثامن والتاسع

تُشكّل هذه العطور المرّكّزة، التي نكتشفها بفضل العديد من مجموعات الصور الفوتوغرافية لفنانين معاصرين، المواد الأسهل منالاً سواء بسبب سهولة قطفها أو لقلّة تكلفتها. وتتمتع الوردة بمكانة خاصة. فهي التي يتغنّى بها الشعراء، وهي رمز الجمال والروحانية. ويُزرع الورد في الوديان المغربية وصولاً إلى أصفهان ومروراً بدمشق أو شبه الجزيرة العربية، وهي تفرض نفسها من جوانب كثيرة في الثقافة العربية. ويكتسي النرجس بدوره أو الياسمين أو الزعفران رمزية خاصة. وتُعرض مجموعة صور فوتوغرافية فائقة الجمال للفنان دينيس دايلو توتّق زراعة الورد في وادي درعة بالمغرب. ويُزرع الورد كذلك في الجبل الأخضر في عُمان، رغم أنّ أفضل أنواع ماء الورد في العالم العربي مُستخرج من الورد العُماني ومن الطائف في المملكة العربية السعودية.

ينقلنا العمل الفني "مسك الليل" للفنان الفرنسي المغربي هشام برادة إلى حديقة ياسمين حقيقية داخل المعرض. ثلاثة رواي من الياسمين الليلي *Cestrum nocturnum*، تصاحبها إضاءة خافتة، تسمح للنباتات بنشر رائحتها خلال النهار لتتيح للجمهور الاستمتاع بتجربة الشم. في الجزء الثاني من المعرض، يدخل الزائر إلى المدينة ليكتشف الاستخدامات المتعددة للعطور في الأماكن العامة. وفيما هو يتجول في الأزقة، يشم روائح مختلفة تميّز كل حي: يعبر سوق العطارين ثم يذهب إلى الحقامات قبل أن يتوجّه للصلاة.

عندما يتجول الزائر في سوق العطارين، يكتشف المنتجات التي يتألّف منها عالم الروائح في الوطن العربي. تأخذنا صور فوتوغرافية بالحجم الطبيعي التقطها الفنان فلاديمير أنطاي للدكاكين الصغيرة، إلى قلب أسواق الرياض في المملكة العربية السعودية ومسقط وصلالة في عُمان. وهي تعرّفنا على مهنة العطار الذي تحظى خبرته باحترام كبير في المجتمع العربي: فهو كذلك صيدلي يمكنه تحديد المزايا التجميلية أو الطبية للمستخرجات.

تتطلب صناعة العطر إتقان مجموعة من المراحل، بدءاً من جمع المواد الخام حتى تسويق المنتج، مروراً بتقنيات النقع والتقطير. وكانت عملية النقع معروفة في العصور القديمة، ثم طوّرها وعمّمها العلماء المسلمون منذ القرن التاسع الميلادي. لقد كانت العطور ولا تزال بضاعة فاخرة تحتل المكانة الرئيسية بين المنتجات المتداولة، ولهذا السبب يقع حي العطارين دائماً في قلب السوق، في أقرب نقطة من المسجد الجامع.

تطورت مهنة العطار في عصرنا الحالي، فهو الآن مدير فني "يفكّر" في العطر ورائحته كما في تصميم الزجاجة. ومن أجل إنجاز مشروعه، يحيط نفسه بالمتخصصين وخاصة بـ "شمام" يميّز بحاسة شمّ قوية. فهو الذي يعطي ترجمة شمّية لفكرة العطار من خلال تحضير خلطات المستخلصات واختبارها. وقد حُصّصت زاوية مجهزة في المعرض يُدعى الزائر فيها لشمّ العديد من منتجات كريستوفر شيلدرريك كي يفهم مهنة "الشمام" من خلال اختبارها، بشكل مبسّط بالتأكيد، لتحلّل كل عطر من العطور.

بدأ منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، استخدام الجزيئات الاصطناعية في مجال صناعة العطور، وهو ما مثل ثورة حقيقية، لا سيّما بعد أن أصبحت بعض المنتجات الطبيعية غير متوافرة أو محمية، فكان التركيب الاصطناعي يسمح بإنتاج روائح مطابقة لها. ومع ذلك فيبدو أنّ التطورات المعاصرة في صناعة العطور مثيرة للجدل أحياناً عندما يحل التسويق والتصنيع المفرط محل المهارة.

وكما هي الحال اليوم، كان هناك حرص منذ العصور القديمة، على الاحتفاظ بهذا المنتج المرغوب في زجاجات متقنة الصنع، وفقاً لمبدأ أساسي في الصناعة الفاخرة: ترفع الحاوية من شأن المحتوى. تنتمي القوارير المعروضة لعصور مختلفة، وهي تشهد على مهارة تقنية عالية. تتحاور هذه القطع مع العمل التشكيلي الذي تعرضه الفنانة الفلسطينية ديمة سروجي والذي من شأنه أن يحثّ صانعي الزجاج الفلسطينيين على التحول إلى الأساليب المعاصرة.

تقود هذه النزهة في شوارع المدينة الزائر إلى مداخل الحّمّات. وتُعتبر هذه الحّمّات، الموروثة عن الحّمّات العامة الرومانية، من البنى الأساسية في المدينة العربية. كيف لا وهي التي كانت على مدى قرون، مسرحاً لطقوس العناية بالجسد



علية
سوريا أو إيطاليا
النصف الأول من القرن الأول
ليون، متحف الفنون الجميلة



المتأصلة في الثقافة العربية الإسلامية، والتي يتطلبها القيام بالفروض الدينية المرتبطة بنظافة الجسم وطهارته. كما أن الحمامات كانت - ولا تزال - فضاءً للرفاهية والتواصل الاجتماعي، خاصة في أيامنا هذه حيث غزا الحمام الفردي المنازل. يقصد الرجال والنساء هذه الحمامات حيث ينعمون بالاعتناء بأجسادهم، وتديكها، ودهنها بالمراهم المعطرة. ويُعتبر الحمام مكاناً للرفق المجتمعي، يُحتفى فيه بالجسد من خلال استخدام أدوات غاية في الأناقة: مغارف المياه الثمينة، أو القباقيب الجذابة، أو أعواد التدليك المزخرفة أو الشلالات المطرزة... وكلها مظاهر تنم عن الاهتمام الكبير بمسألة العناية الجسدية.

بعدها يتناول المعرض علاقة العطور بالروحانية. وهنا نعود إلى الاستخدام الأول للعطور. فقبل أن تستخدم العطور للاعتناء بالصحة، كان البخور والزيوت العطرية تُستخدم في الممارسات الروحية في الحضارات التي سبقت ظهور الإسلام، لا سيّما عند المصريين والعرب ما قبل الإسلام والرومان. حُصص الجزء الأخير من المعرض لاستخدام العطور في المجال الخاص. فكل منزل هو في الواقع مكان مليء بالمعظرات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما هو حميمي وتتصل بالطفولة وبالعلاقة مع الأسرة والأحبة والأصدقاء. وإذ تكشف الروائح عن ذوق الفرد، فهي تدل على الجانب الاجتماعي في شخصيته وعلى مكانته التي يُفترض أن يحافظ عليها، كما تشي بميوله العميقة والمخفية بحرص شديد.

وتدلّ طقوس الضيافة بكل وضوح على هذه العلاقة العاطفية مع الرائحة داخل المنزل. ومن قواعد العيش المشترك القديمة أن يتطيّب الشخص كي يكون حضوره مستحباً لدى الشخص الآخر، وقد اكتسبت هذه القاعدة أهمية خاصة في بلاد الإسلام. وجزت العادة عندما نستقبل الناس، أن نعطر المنزل والضيوف عن طريق رش ماء الزهر أو التبخير. ولا تزال هذه الطقوس القديمة قائمة في العالم العربي، لاسيّما في بلدان الخليج. إنها جزء من مراسم الترحيب الأساسية التي تشترك فيها جميع طبقات المجتمع، كل شريحة بقدر إمكاناتها المادية. يشعل البعض خلطة من الزهور المجففة التي تنمو على مشارف المدينة، والبعض الآخر تركيبة متطورة من مكونات باهظة الثمن. ويُعتبر الإحجام عن ذلك انتقاصاً من آداب الضيافة، إن لم يكن مؤشراً على البخل. وقد أردنا أن نشير إلى أهمية هذه الممارسة واستمراريتها من خلال عرض مجموعة من المباخر والمرشات، منها القديمة أو الحديثة، ومنها الثمينة أو الاعتيادية.

ولا يمكن فصل روائح الطبخ التي تثير ذكريات شمعية قوية، عن عالم العطور. وهو ما ينطبق بوجه خاص على المطبخ الشرقي الذي يثير الشهية عن طريق الشم والتذوّق، ويستخدم بكثرة المكونات الرائحة في صناعة عطور العناية بالجسد، حتى أنّ المكونات يمكن الحصول عليها في بعض الأحيان من الدكاكين نفسها. يُستخدم ماء الزهر وماء الورد في تحضير الحلويات كما في مستحضرات التجميل، ولقرن الغزال رائحة زهر الليمون التي تفوح من الجُدة

وهي تعدّ هذا النوع من الحلويات! هكذا تثير فينا تركيبة عطرية معيّنة ذكريات تشدنا إلى أيام الطفولة، حيث كنا نستمتع بروائح القهوة والطاجين والكعك المتسربة من المطبخ. لذلك يحيلنا عمل لوران ماريشال الفني إلى المطبخ العربي الغني بالتوابل. فقد صنع من أنواع مختلفة من التوابل قطعاً تحاكيها من البلاط الإسمنتي. وهذا ضرب من الخداع البصري يشوّش حواسنا ويتركنا في حالة إرباك أمام البراعة التقنية التي تطبّها إنجاز العمل. وفي الخلاصة، فإن العطور الشرقية لا تشكل فقط عائلة من الروائح الأساسية المرغوبة بشدة في دور العطور الحالية، بل هي كذلك سمة لا تزال حية لثقافة قديمة وعميقة الجذور، تعطر حياتنا اليومية. فالعالم العربي مملكة للعطور. والعطور بدورها ابتسام تدغدغ الأحاسيس وتحثنا على الاحتفاء بجمال العالم.

عالم العطور

عبد الوهاب بوحدية
أكاديمي وعالم اجتماع واختصاصي إسلاميات

هذا الكتاب هو تكريم لعبد الوهاب بوحدية، المفكر التونسي الكبير وعالم الاجتماع والاختصاصي في الإسلاميات، الذي أكرمنا بأن عهدنا إيانا بالنص الأخير الذي كتبه. وقد حال غيابه للأسف في 17 ديسمبر 2020 دون أن يشهد إصدار هذا الكتاب. ويهمننا أن ننشر بعد وفاته المقال الذي أعدّه وأن نتوجه بالشكر لعائلته. يشكّل النص أدناه صيغة مختصرة [لدواعي الاقتضاب في الكتاب] للنص الكامل الذي يبقى غير منشور. ويشار إلى المقاطع المحذوفة من النص الأصلي باستخدام المعقوفتين [...].

آنياس كارايون وهنا بوغنيم،
القيمتان الفنيّتان على معرض "عطور الشرق"

لقد قيل مرات ومرات عن الشعر وكذلك عن الموسيقى، إنّ العالم بدونهما لا يستحق أن يُعاش. يمكننا أن نقول هذا من باب أولى عن العطور، إذ أنه بدونها، ستكون الحياة بلا طعم ولا رائحة. باهتة جداً. فالعطور تزيل ماض العيش، وتطرد غثيان الوجود، وتجعل العالم أكثر قبولاً، والآخريين أكثر كياسة [...].
العطر ليس ترفاً أو لمسة زائدة، ولا هو زينة مفتعلة [...]. وإنما هو هدية قيّمة تأتي من بعيد، من البعيد البعيد، من الأعماق الغامضة للوجود. إنه تراث ثمين من ماضي الأجداد، وهو حاضر في كل الأوقات. أمس واليوم والغد، هو البصمة التي لا تمحى لماضي، وبالتالي لحاضرنا. إنه يربطنا مع كل نفس نتنفسه بأصولنا الحيوانية وطبيعتنا العميقة. وهو بذلك يعطي إيقاعاً لرغباتنا ويعلن بلا كلل عن الصلات التي تربطنا بالكون. ومع أنّ ذلك ينطبق على كل الناس في كل المجتمعات إلا أنّ لكل مجتمع طريقته الخاصة في التعامل مع العطر بحسب الوسائل التي يمتلكها، ودائماً بحسب العبقريّة الجماعية التي تُميّزه. فالعطر مطبوع باللحظة الحاضرة وما تتيحه من موارد. هو سريع الزوال، لكن أثره يدوم. إنها لمفارقة كبرى لكنّها حقيقية جداً: فابن اللحظة وابن الفرد الواحد يكشف عن ديمومة الجميع.

6.
مرّش ماء الورد
تركيا
القرن الثامن عشر



آلاف إلى خمسة آلاف دابة، أي حوالي ألفي طن، وهو ما يعادل حمولة قطار شحن كبير هذه الأيام. حملت القافلة مادة السكلابي العطرية التي يفرزها القندس من منطقة البلطيق، وعود بخور كمبوديا... كذلك. كما حملت يلانج ماليزيا، وقرنفل زنجبار، وفلفل جزر الملوك، وعنبر المحيط الهندي، ومسك التيب. كانت القافلة تحقّق أرباحاً هائلة - يتقن احتسابها المتخصّصون في أيامنا الحاضرة - وهي توزّع كل ما هو نادر وثمانين وغريب من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب وفي الاتجاه المعاكس. كانت تؤمّن مصالح العالم كما تخدم المصالح المحلية. فهي التي أمتت ازدهار سمرقند وإسطنبول وبغداد والبندقية والجزائر العاصمة وأغدقت عليها سحراً. وبفضل القافلة، حصلت المبادلات بكل السلع: الورد والقرنفل والياسمين والسوسن، كلها تعبر الحدود وتتخطّى الأقاليم المناخية وتتجاهل الفصول. كانت الجغرافيا والصناعة والتجارة إلى حدّ ما، في خدمة العطور، مع أفضلية مستحقة للعالم العربي. وغالباً ما كان الطلب يتخطى العرض ويخرج عن السيطرة. وإعادة التصدير التي كانت تشكّل القاعدة، لم تمنع بأي حال من الأحوال الاستهلاك في أرض المنشأ، لا في المدن التي تقع عند مفترق الطرق، ولا في الأرياف التي كانت تساهم بقوة من خلال منتجاتها المحلية [...].

وأضيفت إلى هذه العوامل الاجتماعية والاقتصادية عوامل ثقافية أخرى سارت في الاتجاه نفسه، وأسهمت في تعزيزها، مما أضفى على الحضارة الإسلامية سمات شخصيتها المميزة. فالحضارات الأخرى اعتمدت الطيب إلى حد كبير وسيلة للتقرّب من الخالق، أمّا في الحضارة الإسلامية فلا يُستخدم الطيب في الممارسات الدينية، فـ”الله المُتعال“ فوق كل شيء [...]. إن الله لا يتطلّب من البشر سوى التقوى. وهو يترك لهم العطور التي ينعمون باستعمالها. العطر هو كلّ متكامل بالنسبة للناس [...]. إنه عنصر أساسي في غنائية الحياة كما أرادها الله. غير أنّ ذلك لا يمنع من استخدام البخور في هذا المسجد أو ذاك، وفي أقدس تلك المساجد، في مكة المكرّمة والمدينة المنورة. ولكن حتى هناك، فإن الاستخدام لا يكتسي البتة طابعاً دينياً [...].

تأتي القدوة من بعيد، من النبي محمد (صلى الله عليه وسلّم) نفسه الذي كان بلا شك أعطر الأنبياء [...]. والمسلم الصالح يبحث باستمرار عن رائحة طيبة في حياته: أريج أو نبات أو تابل. وتعدنا الروائح المنبعثة من المدينة أو من الريف، على الدوام بلقاء المألوف واليومي مع الشّم. ففي المنزل أو في الشارع، في الليل أو في النهار، في السوق أو في الحمام، في المسجد أو عند الجيران، هناك دائماً رائحة نستمتع بها كما نستمتع بالحياة [...]. وجاء الطبخ والطب ليعزّزان هذا الميل إلى الاستمتاع بالروائح. وعلى هذا النحو غزت الأنشطة المرتبطة بالعطور المدينة، بالمعنى الحرفي للكلمة [...].

انتشرت الدينامية التي أوجدتها العطور في العالم العربي، واكتسبت زخماً، وأدت إلى ظهور صناعة مزدهرة على نطاق واسع تجاوزت العالم العربي. وقد كسبت البشرية من ذلك منتجين رئيسيين: الإنيق والصابون. فالإنيق اختراع قديم جداً، يُنسب تحسينه إلى ابن سينا (980-1037). وعلى أية حال، فإن الإنيق

لذلك ينبغي أن نتحدث عن العطر بوصفه حقيقة ثقافية فريدة من نوعها ولكنها مكتملة، لأنه يمزج رغباتنا بمخاوفنا، ومخاوفنا بآمالنا، وكل ذلك مع حنيننا إلى الروحي. إنه ملح الحياة، وهو يُديمها [...]. أمّا العالم العربي، من جهته، فقد تلاعب بالعطر [...]. واستمتع بكل ما يُقدّمه من إمكانيات، بعد أن استفاد بشكل كبير من العديد من الظروف والمتغيرات، وتحديدًا من العوامل الاقتصادية والدينية التي تضافرت في داخله [...]. ويبدو أنّ هذا التناغم الدائم والمتعمّد بين هذه العوامل جعل شبه الجزيرة العربية سعيدة والعالم العربي أكثر سعادة. فثقافة العطور هي في الواقع بالنسبة للعالم العربي شغف بالعطور.

لطالما استفاد العالم العربي من العالمية، من منطلق موقعه عند تقاطع ثلاث قارات -آسيا وأوروبا وأفريقيا- كانت على تواصل دائم فيما بينها دون أن تفصل بينها البرازخ الثلاثة، أي الدردنيل والسويس وجبل طارق. ونظراً لموقعه على حوض بحر استثنائي، البحر الأبيض المتوسط، فقد كان دائماً في قلب العالم على الرغم من المخاطر والمآسي [...].

تُعدّ القافلة ماكينة فعّالة تعمل بدقّة وسلاسة، وهي التي بيّرت السيطرة على الأراضي، وبصورة جزئية على البحار. فهذه الوسيلة المضبوطة كالساعة، كانت تجد من ينتظرها في كل مكان من أجل توزيع المنتجات النادرة والمطلوبة والمتوافرة على الدوام من محطة إلى أخرى. ولا يمكننا أن نتحدث بما فيه الكفاية عمّا تدين به الإنسانية للقافلة التي كانت توزّع في سياق تحرّكها سلعاً أخرى كذلك. وعلى هذا النحو، سافرت الكتب والأسطرلابات والمعارف والآلات الموسيقية، أي ”الثقافة“ باختصار، مع العطر المترجّع على عرش كل السلع. كما لا يمكننا البتة أن نقول ما يكفي عن دور الأبطال المشاركين في ملحمة العطر، وأقصد هنا الجمل ذي السنامين والجمل العربي والبخت المهجّن منهما، دون أن ننسى البغل والحصان. هؤلاء الصامتون الذين لا يعرفون تعباً ولا كلالاً، كانوا حقاً - ومن دون تورية - المحرّك الحقيقي للحضارة في ذلك الوقت. كانت القافلة تتألف من ثلاثة

7
تمثال جمل من الحجر الجيري
شبه الجزيرة العربية
القرن الأول ق.م.



8
جمل يركب ناقة ترضع
صغيرها
شبه الجزيرة العربية
القرن الأول ق.م. - القرن
الأول م.



العربي هو الذي أتاح عمليات التقطير وما نتج عنها من مشتقات، مثل المقطّرات [...] والزيوت العطرية والعديد من الأدوية. أما الصابون، وهو خليط من مادة قلووية مع مادة دهنية وعطر، فقد أدى إلى اختراع تقنيات جديدة للعناية بالجسم وأسهم في انتشار النظافة. شهدت العطور طفرة جديدة [...] مع ظهور العلاج بالعطور التي [...] تداوي وتشفى. يُقدّم كتاب ابن الجزار القيرواني "في فنون الطيب والعطر" الذي يعود للقرن العاشر الميلادي تفاصيل غير متوقعة في ذلك الزمن -وما زالت متقدّمة لحد اليوم- حول تركيبية المكوّنات العطرية الأساسية، وطبيعتها، ومميّزاتها، وتكاملها أو عدم تكاملها مع بعضها، والاستخدامات المحمودة أو الضارة، والاستعمالات المختلفة... وبعد قرن من الزمن، نشر ابن بطلان في بغداد كتاباً فريداً بعنوان "تقويم الصحة" (Tacuinum sanitatis) في نسخته اللاتينية)، وانتشرت منه نسخ بلغات أخرى منها اللاتينية والألمانية [...]. حتى القرن التاسع عشر الميلادي. يقدّم هذا الكتاب التعليمي السابق لزمانه، من خلال مئة وثمانين رسماً بيانياً وأربعين جدولاً، أسماء المنتجات الأكثر فعالية، وخصائصها، وآثارها الإيجابية أو الضارة، واستخداماتها الصحيحة، والاحتياطات الواجب اتخاذها، وكذلك مصدر هذه المنتجات، وقيمتها السوقية، والمواسم المناسبة لحصادها، وتقنيات الحفظ عليها...

تُبرز هذه الكتب العلمية أو التبسيطية الأهمية التي أولتها الحضارة العربية للعطور والتي يمكن "استشعارها" في كل خطوة. تتجول في المدينة القديمة فتجذبك رائحة ما. رائحة تتغير من حي إلى آخر [...].

لا شك في أن الأدب هو أفضل مرآة تعكس صورة المجتمع. ولهذا السبب كان لا بد من أن يكون الأدب العربي الأكثر عطراً في العالم، نظراً للحيز الكبير الذي تشغله فيه الزهور والروائح والأعشاب والمرام. يأتي الشعراء في طبيعة المفتونين بالعطور، شعراء وصف [...] أو شعراء مناسبات. ثم هناك كمّ من الكتب في شتى الأنواع وعدد من المصنفات الضخمة: "كتاب الأغاني"، و"مروج الذهب"، و"العقد الفريد"، و"في كل فنّ مستظرف"، والكثير من الكتب الأخرى التي أعطت للعطور مكانة خاصة نكاد نلاحظها في كل صفحة تقريباً.

صديقي القارئ، لا تتردّد كي تكتمل متعتك، في أن تأخذ بكلتا يديك كتاب "ألف ليلة وليلة". فهذا المؤلّف الحافظ للثقافة العربية، وهذا المعلم للحضارة العالمية، هو مخزون هائل من الروائح التي يمكن استخدامها والإسراف فيها في مناسبات الحياة الكبيرة والصغيرة. اقترب من الأخت الكبيرة شهرزاد الرائعة، وسوف تُقدّم لك في كل صفحة باقة من الزهور، أو حفنة من الطيب، أو قطعة من المسك، أو العنبر، أو الصّبّار. ولكونها مسكونة بالعطور، فسوف تُعظّرك بلا توقّف. اكتشِف معها أسرار العالم والسحر الذي لا مثيل له والذي حققت به إنجازاً محفوفاً بالمخاطر يتمثل في استمالة أحد أقسى الطغاة في التاريخ وعلاجه حتى الشفاء التام من حماسته لقتل النساء. ما من شك في أن جمال هذه المرأة العطر، وكلام الصورة والأسطورة، نفذ إليه بلطف ليلة بعد ليلة، قبل أن يُستعاد

يوماً تلو الآخر، ويبدّد خوفه، ويهدّي من روعه، ويُنقذه في نهاية المطاف ومعه العديد من النساء في المملكة. وأنت أيضاً يا صديقي القارئ، عالج كوايبسك، اقتل الأوهام السيئة بداخلك، وانتش بالعطور. اتّبِع السندباد الجريء في تجواله [...]. وهو الباحث بلا كلل عن أفضل السلع في العالم، وخاصة الأعشاب العطرة والتوابل. ابحث عن بدر الدين الذي اختفى في سنّ المراهقة، إلى أن سمحت الوصفة العائلية الحصرية لحوى الرمان بالعثور عليه والتعرف إليه. قمّ بنزهات طويلة في حدائق هارون الرشيد، واصطحب أبو صير في مشروعه الرائع، فقد أصرّ بالرغم من التشكيك على بناء حَقّام فاخر وإدارته لمن لم يألفه وكانوا يكتفون بالاستحمام في البحر بين الحين والآخر. تذوّق العشب السحري، واصطحب قمر الزمان في البحث عن حبيبته بدور، التي لم يتعرّف إليها إلّا من خلال رائحتها. اعبر وادي الزهور ببطء. واضحك وأنت تشاهد الاحتفال الرسمي بالتبخير ببراز بطيريك بيزنطة الأكبر. ولا تنس باختصار أنّ عالماً هو هيكل للعطور. تلاعب باستخدام العطور مثل شهرزاد [...]. ثم واصل استكشافك لعالم العطور العربي، وستنتقل من مفاجأة إلى مفاجأة في أجواء من المتعة والسعادة. ستشعر روحك بالسلام الشامل عندما تدرك أنّ وطننا الحقيقي هو أيضاً العطر.

من العطر إلى الرائحة والانفعالات، دور الشمّ

رولان سالييس

مهندس زراعي، مؤسس وحدة بيولوجيا الشمّ العصبية في المعهد الوطني للأبحاث الزراعية

إن الجِراة في إقامة معرض عن العطور الشرقية تعود إلى ثقة ضمنية بحاسة الشمّ لدينا. نحن نشمّ مع كل نفس. لذلك فإن الشمّ أمر بديهي للغاية لدرجة أننا لا نُفكر فيه، ونادراً ما نستدعي حاسة الشمّ لدينا، باستثناء المحترفين مثلاً، لتذوّق الجانب العطري في حياتنا. وحتى عندما نتعطر، فإن حاسة الشمّ لدينا تعتاد بسرعة على رائحة العطر فلا نعود نحسّ بها، على الأقل بشكل واعٍ. غير أن البشر قد أولوا العطور اهتماماً كبيراً، منذ أقدم العصور، وذلك لأسباب مختلفة، وظيفية أو روحية أو جمالية، كما يتضح في هذا الكتاب.

كيف تعمل، إذن، حاسة الشمّ التي غالباً ما تُهمل في الغرب، مع أنها ترتبط بشكل سحري بالعواطف والذكريات؟

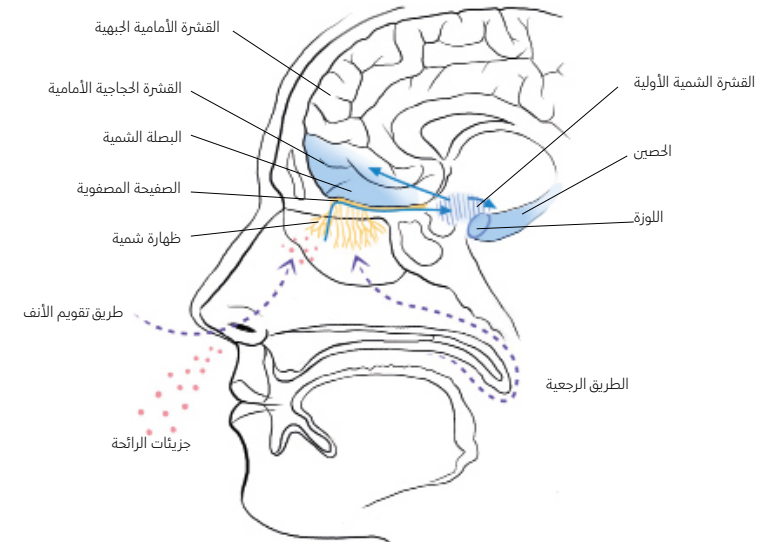
ملاحظة أولى: العطر خليط من الجزئيات ذات الرائحة، يصنع منه الدماغ إدراكاً يسمّى الرائحة.

في الأنف أربعمئة مستقبيل ولكن فيه مليارات من الخلطات العطرية

تتمّ المرحلة الأولى من عمل حاسة الشمّ داخل الأنف. كل تجويف من تجاويف الأنف لدينا يحتوي على غشاء مخاطي شميّ (يُسمّى مخاطي لأنه مغطّى بالمخاط، مثل كل "الجلود" الداخلية في أجسادنا؛ ويسمى أيضاً الظهارة الشميّة)؛ يقع الغشاء المخاطي في أعلى كل تجويف أنفي، بين العينين (الصورة ص. 30). أما مساحته فهي محدودة جداً، بالمقارنة مع العديد من الثدييات، (حوالي 5 سم مربع مقابل 200 سم مربع لدى الكلاب) ولكنه مع ذلك يؤدّي وظيفته على نحو ممتاز، لاسيّما عند العطارين أو الطهاة. والجدير بالملاحظة في هذا السياق أنّ ما نسميه "الذوق" بالمعنى المتداول يعتمد في الواقع على ثلاثة أجهزة عصبية مختلفة، أهمها حاسة الشمّ. وبالفعل، إذا مضغت الطعام وأنفك مسدود فسوف تدرك أنّه "بلا طعم"، "ويكفي أن تفتح أنفك، حتى تجد أن طعمه لذيذ!". كتب بريلات سافارين في القرن التاسع عشر الميلادي أنه "بدون حاسة الشمّ، لا يوجد تذوق كامل". يُنتج مضغ الطعام جزئيات متطايرة تنتقل إلى الجزء الخلفي من الحلق نحو الأنف حيث يتم شمّها (الصورة ص. 30). وينتج "المذاق" عن

جهاز حاسة الشمّ
إستوديو ماجيك

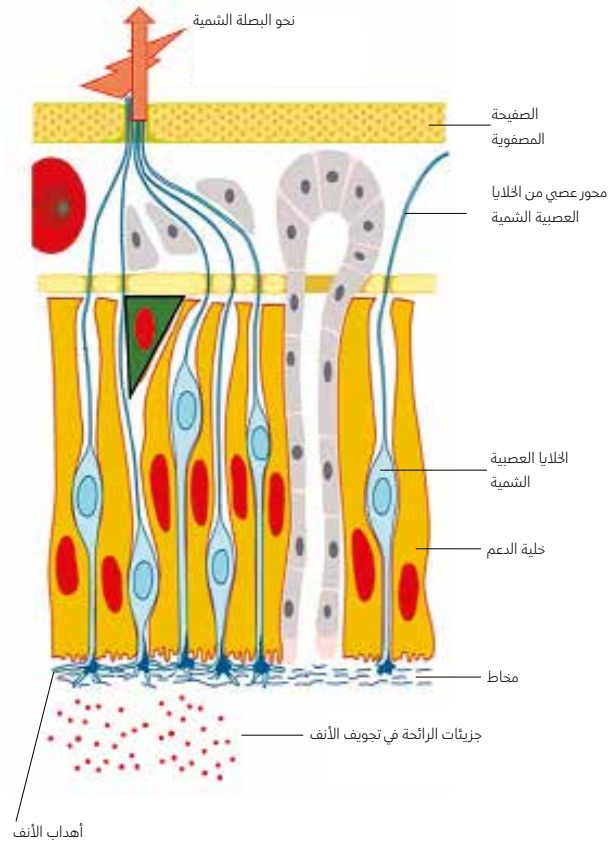
يمكن أن تصل المنتجات ذات الرائحة إلى الظهارة الشمية عبر طريقين: الطريق التقويمية الأنفية (من خلال فتحتي الأنف) والطريق الرجعية الأنفية (من خلال الجزء الخلفي من الحلق). بعد ذلك، تنتشر الرسالة العصبية (الأسهم الزرقاء) إلى البصلة الشمية، ثم القشرة الشمية الحجاجية الأمامية.



اختلاط الشَّم بالتذوق (أي إحساس الفم بمذاق حلو، أو مالح، أو حامض، أو مر، أو لاذع) وبالمعلومات التي يلتقطها الأنف والغم بواسطة العصب ثلاثي التوائم؛ اللمس، ودرجة الحرارة، والمهيجات (العصب ثلاثي التوائم هو الذي يجعلنا نبي عندما نقشّر البصل). وهذا المسار الارتدادي القصير من الحلق إلى الأنف، لا نجده ربما إلا لدى الجنس البشري وهذا ما يمكننا من تذوق الروائح والنكهات في الوقت نفسه. والأرجح أنّ اهتمامنا بغم الطهي نابع عن هذا الجهاز. يكشف المجهر أن الظهارة الشّمية تتكون من عدة أنواع من الخلايا. نتناول منها هنا الأنواع الثلاثة الرئيسية (الصورة ص. 31).

الخلايا الحساسة للمواد ذات الرائحة هي الخلايا العصبية الشّمية، وهي خلايا لها أهداب (شعيرات) صغيرة تمتد إلى تجويف الأنف حيث يغمرها المخاط. تحمل هذه الأهداب المستقبلات الشمية. يمكن لهذه المستقبلات الموجودة على جانب التجويف الأنفي التعرف على المواد العطرية. عندما يستشعر المستقبل جزيئاً له رائحة، تنشط الخلية العصبية فترسل تياراً كهربائياً (نبضة عصبية) إلى البصلة الشمية، يستطيع الدماغ أن يتعرف إليها. لا تنفذ المواد العطرية إلى الدماغ، لكن النبضة العصبية تنتشر عبر الطرف الآخر للخلية العصبية (الذي نسميه المحور العصبي)، عبر عظمة أرضية الدماغ (نسميها الصفيحة المصفوية لأنها مليئة بالثقوب)، لتصل إلى البصلة الشمية، وهي المحطة الأولى لمعالجة الرسالة الشمية. عادة ما نقول "البصلة الشمية" ولكن في الواقع هناك اثنتان، واحدة في كل فتحة أنف.

ويتكون النوع الثاني من الخلايا من الخلايا الداعمة وهي الخلايا الدبقية. هناك قاعدة في الجهاز العصبي تقول إن كل خلية عصبية تساعد واحدة أو أكثر من الخلايا الدبقية التي تؤمن لها الغذاء وتنظف بيئتها الخلوية. وعلى هذا الأساس، تحافظ الخلايا الدبقية كذلك على جودة المخاط.



ينبتق هذان النوعان من الخلايا في الواقع من فئة ثلاثة من الخلايا، هي الخلايا القاعدية الموجودة في قاعدة الظهارة. وعلى غرار سائر الأغشية التي تكون على احتكاك بالخارج، يتجدد الغشاء المخاطي الشّمّي باستمرار بواسطة الخلايا القاعدية، وذلك بمعدل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع تقريباً لكل دورة. لكن تكمن خصوصية الظهارة الشمية في كونها تحتوي على خلايا عصبية. وتتصل هذه الخلايا العصبية بالخارج، وهي الخلايا العصبية الوحيدة في جسمنا تقريباً التي تتجدد عند البالغين. ومن فوائد هذه التركيبة أن يكون لدينا دائماً مستشعر شّمّي "جديد"، حتى لو انخفض أدائه ببطء مع تقدم العمر. ويمكن أن يحصل أذى خطير للظهارة الشّمية بسبب تعرضها للهجمات، مثلما رأينا مع فقدان حاسة الشم بعد الإصابة بفيروس كوفيد-19.

ولا تُعبر كل خلية عصبية شميمة بشكل دائم إلا عن نوع واحد من المستقبلات الشمية من ضمن مستودع جيني مكوّن من حوالي 400 جينة عند البشر (حوالي 1000 جينة لدى الفئران، و800 لدى الكلاب، ويبلغ هذا العدد رقماً قياسيًّا عند الفيلة بفضل 2000 جينة). وإذ قد يعتقد المرء أن وجود أربعمئة جينة "فقط" يجعلنا مخلوقات ضعيفة الشم، فالأمر ليس كذلك! في الواقع، يمكن لكل مستقبل التعرف على عدد قليل من الروائح، في حين أن الرائحة نفسها يمكن أن ترتبط بعدد قليل من المستقبلات. وهو ما يؤدي إلى لعبة تمازج تولّد احتمالاً آلاف المليارات من التركيبات الممكنة، وتنتج قدرة تكاد تكون غير محدودة على التعرف على الروائح!

البصلة الشّمية: بطاقة هوية شّمية

ثبت أنّ لدى القوارض، هناك في كل تجويف أنفي، ما يناهز 10000 خلية عصبية تستجيب لنفس المستقبل. تتلاقى امتدادات هذه الخلايا العصبية في مكان واحد في البصلة الشمية (الصورة ص. 30)، يُسمّى الكبيبة. وللتبسيط، يمكن القول إن هناك لدى جميع الأنواع الحيوانية كبيبة واحدة لكل مستقبل شّمّي. وبناء على ذلك نُدرِك أنّ خريطة عمل الكبيبات هي بمثابة التوقيع أو هي بطاقة هوية كيميائية للعضور.

الجهاز الحوفي: العواطف والذاكرة

تصل الأعصاب الشمية بعد ذلك إلى بنية دماغية ثانية، هي القشرة الشّمية الأولية (الصورة ص. 30). وهي في حد ذاتها مكوّنة من عدة مجموعات فرعية

تقع الظهارة الشمية لدى الإنسان في الجزء العلوي من كل تجويف أنفي. ونرى تحت المجهر، أنها تتكون من ثلاثة أنواع من الخلايا: الخلايا العصبية الشمية (باللون الأزرق)، والخلايا الداعمة (الممدودة، باللون الأصفر) والخلايا القاعدية (المثلث، باللون الأخضر).

عصبية تنتمي إلى الجهاز الحوفي، أي نظام العواطف والذاكرة الذي يعالج الرسالة بشكل غير واعٍ. وتمرّ حاسة الشمّ فقط من بين جميع حواسنا مباشرة إلى القشرة الشمّية.

تقع القشرة الشمّية عند الإنسان أسفل المخ، على أرضية الدماغ. ثلاث مناطق من هذه القشرة تثير اهتمامنا. إلى الأمام توجد القشرة الكثرية (على شكل كمثرى) حيث يتم التعرف كيميائياً وبيولوجياً على المعلومة الشمّية. وإلى الورا أكثر، نجد اللوزة الدماغية (ليست اللوزة التي في الحلق، بل هي نواة عصبية على شكل لوزة) التي تُمثّل ملتقى العواطف، بالنسبة لجميع الحواس وخصوصاً بالنسبة لحاسة الشمّ. وهنا كذلك نواة الإحساس بالمتعة، أو ردة الفعل العاطفية الأولى على انبعاثات الروائح، فيما "نحبها" أو "لا نحبها". وأخيراً، نجد الحصين، ضابط إيقاع الذاكرة. يفنّس هذا الجهاز "قوة" الروائح التي تُسمّى مفعول "كعكة بروسست". عندما نتعرف هذه القشرة غير الواعية على رائحة مرتبطة بعاطفة و/أو ذكرى، تنشط اللوزة الدماغية والحصين ويستعيدان عناصر من الذكريات المسجلة هنا وهناك في دماغنا، لإعادة بناء المشهد الأصلي بالكامل. في حالة بروسست، كانت رائحة الكعكة المغموسة في الشاي تعيد للراوي صورة العمة ليونتي التي يزورها صباح كل يوم أحد.

وأخيراً، يوجد كذلك في الجهاز الحوفي الوطاء (لا يظهر في الصورة لأنّه يقع تماماً في وسط الدماغ)، وهو ضابط إيقاع الوظائف الحيويّة الذي ينظم الشعور بالجوع والعطش والإجهاد كما الحالة الإنجابية والساعة البيولوجية وإيقاعات القلب والجهاز التنفسي. ولعمله تأثير على طبيعة استقبال الروائح وهو ما يُفسّر على سبيل المثال أنّنا نشم رائحة الطعام بشكل أفضل عندما نكون جائعين؛ بينما لا تُحرّك هذه الروائح فينا ساكناً، بل تبدو لنا كريهة عندما نشبع.

نظام المكافأة (أو التحفيز)

في الرحلة بين البصلة الشمّية والقشرة الشمّية، تلتقي الحزم العصبية بنظام المكافأة (أو التحفيز). ويُعرف هذا النظام كذلك باسم نظام الدوبامين. وهو جزء من النوى المركزية للدماغ (غير ظاهرة في الصورة). ترتفع نسبة الدوبامين أثناء التعرف الإيجابي على الرائحة، وتقوي تأثير الرائحة (على عكس ذلك، إذا كانت التجربة مزعجة، ينخفض مستوى الدوبامين، وكذلك قيمة الذكرى). ونتيجة لذلك، قد يبعث شم العطر اللطيف مجدداً، أو حتى مجرد ذكره، الرغبة في العثور عليه من جديد، فتدفعنا لذلك شحنة جديدة من الدوبامين. وختاماً، يتأثر هذا النظام إلى حدّ كبير بالاعتراف الاجتماعي. في النوع البشري، الاجتماعي للغاية بطبعه، غالباً ما يكون حكم الأقران أكثر أهمية من الرأي الفردي، ويمكن أن ينتهي بنا الأمر إلى "أن نحب" محفزات لا تعني لنا شيئاً، لا بل نكرهها، إذا كان ذلك يكسبنا اعتراف المجموعة. هكذا تطيب لنا روائح ونكهات كُتّا نرفضها في مرحلة الطفولة، فنبداً مثلاً في تناول الأطعمة المرة، أو حتى نحب دخان السجائر أو البخور.

الدماغ الواعي: القشرة الأمامية الحجاجية

في نهاية المطاف، تظهر الرسالة الشمّية إلى الوعي عن طريق الوصول إلى القشرة الحجاجية الأمامية (الصورة ص. 30؛ في هذه الحال كذلك، واحدة على كل جانب، فوق محجر العين مباشرة). وبفضل هذه القشرة، يمكننا التعبير عن إحساسنا بالرائحة (من خلال الصورة الحسية التي يشكلها الدماغ انطلاقاً من المادة العطرية): يمكننا أن نقول إنّنا أحسسنا بشيء ما، أن ذلك يذكرنا بحادثة معينة، بمستحضر ما، وغالباً ما يقتصر الكلام على عدد قليل من المفردات لدى عامة الناس في العالم الغربي. في المقابل، يكشف تصوير الدماغ أن هذه القشرة أكثر سماكة لدى العطارين منها لدى عامة الناس من نفس الفئة العمرية؛ فهي لديهم أكثر تدريباً. إن القشرة الحجاجية الأمامية لصانع العطور لا تنشط فقط عندما يشم رائحة ما، بل كذلك عندما يتخيل عطراً ما. ويعود السبب في ذلك لوجود سمة عامة للدماغ: تنشط المناطق نفسها في الدماغ عند القيام أو تخيل القيام بشيء ما. ومما لا شك فيه أن صناع العطور القدماء والحديثين يعملون بالطريقة نفسها.

وتؤدّي القشرة الحجاجية الأمامية دوراً كبيراً في الحكم الجمالي. فمهما كان الشيء الذي نتأمله، أو نذوقه، أو نشمه، أو نلمسه، فنحن نتأمل فقط، في الواقع، الصورة الدماغية التي كوّنّها الدماغ؛ تُسجّل القشرة الأمامية الحجاجية جميع الرسائل الحسية بشكل متساوٍ. وهي جزء من شبكة صنع القرار التي قد تدفع إلى الالتزام بسلوك معين تبعاً لأهمية المحقّر.

ما وراء النظام الشمي

لا تعمل كل هذه الأجزاء من الدماغ بشكل مستقل، بل ترتبط بشكل خاص بالقشرة الأمامية الجبهية (خلف الجبهة، الصورة ص. 30) وهي المركز فائق الأهمية الذي يعود إليه الإدراك (وإدراك الإدراك أي معرفة أننا ندرك)، واتخاذ القرار، والاستدلال، والوظائف التنفيذية. وفيه يتحدّد السلوك الذي نعتّمه في مواجهة رائحة ما: هل هي رائحة طعام، رائحة شريك، أم رائحة مميزة لبيئة ما؟ هل لها دلالة اجتماعية كالبخور أم هي عطر شخصي أو رائحة منزلية؟ تعتمد حاسة الشم، كما الحواس الأخرى، على هذه الروابط المتعددة بين القشرة الأمامية الجبهية "العاقلة" والجهاز الحوفي والتحفيزي. هذان الأخيران يحفزان سلوكياتنا، وهما ضروريان لحياة الأفراد ولاستمرارية الأنواع من خلال الغذاء والتناسل. وقد طرأ بفعل التطور تغيير على هذين الجهازين، وهو ما بات يتيح لنا أن نشعر بالإعجاب أمام الأعمال الفنية (بما في ذلك العطور)، وأمام المناظر الطبيعية الجميلة (بما في ذلك عطورها).

¹ العصب ثلاثي التوائم (غير ظاهر في الصورة) له ثلاثة فروع: واحد نحو العين، وواحد نحو الأنف وواحد نحو الفم.

شجاعة الشمّ

ماتيلد كاستيل
دكتورة في علم المتاحف

الانتشار الشمي من خلال لمسات نهائية تجاري في دقتها مجموعة من المحركات المغناطيسية، أو شبكة من أضواء النيون الملونة أو نسيم الزهور الحريرية، بل إن اهتمامهم بلغ حد توفير مَنفَذين للهواء، وُضعا على التوالي على مستوى ارتفاع قائمة البالغين والأطفال، وذلك من أجل تحسين إمكانية الوصول إلى الأجهزة. والجدير بالذكر أنّ معرض العطور لا يتطلّب تكاليف للتصميم والإنتاج فحسب، بل أيضاً تكاليف للصيانة. والمؤسسات التي تفهم هذه

في كتابه "جدلية العالم المحسوس"، كتب لويس لافيل أنّ "الرائحة هي موجة زمنية تُحقّق حياتنا من خلالها تواصلًا انفعاليًا مع جوهر الأشياء". وبناء على ذلك، إذا لم يكن هناك إلا سبب واحد يجعلنا نقدّر أهمية إمكانية "الشمّ" في المتحف، فسيتّمل في أن مشاركة الزائر المتاح عبر انتشار الروائح مسألة ضرورية لتأسيس علم المتاحف كما تصوره كل من ديفاليه ومايريس، أي العمل المتحفي الذي أصبح لا غنى عنه للتنمية البشرية³. خلال المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ الفن في عام 1921، ذكر هنري فوسيون بالفعل أن وجود مؤسسة تعلّمنا كيف نشمّ بعمق، سيؤدنا بنظرة أعمق لمفهوم الحياة⁴. وإذا كانت أهمية التجارب الشمية عالية الجودة داخل المتاحف أمر لا جدال فيه، فإن مسألة الوسائل المستخدمة لتصوير هذه التجارب يجب أن تُناقش بعناية وبشكل منهجي. أن تدخل مؤسسة ثقافية مجال الروائح، فهذا لا يصدر عن نزوة بل عن جرأة بالمعنى الحقيقي للكلمة. وهي جرأة الرهان على حساسية تتعارض في ظاهرها مع الغايات المثلّي للمتحف، أي الحفاظ على المادة ونقلها. إنّ الأمل في هذه الحال هو أن ينبض وسط الجدران وقضبان الصور، سحر لا يمتلكه إلا ما هو زائل. يُعدّ معرض "عطور الشرق" من المعارض النادرة التي تمت فيها كتابة النصوص العلمية والفنية والشمية بشكل مشترك، بالتنسيق بين مؤسسات تمتلك الخبرة من بينها إستوديو ماجيك الإبداعي وصانع العطور كريستوفر شيلدريك. بدأ الإعداد قبل أكثر من عام من الافتتاح، حيث انطلق المسار الشميّ جنباً إلى جنب مع المسار السينوغرافي، في ترتيب يمنح لتسعة أجهزة تبتّ حوالي ثلاثين رائحة فرصة لاكتساب شرعية تحولها لشغل مساحة خاصة بها. وانطلاقاً من مبدأ الالتزام بالدقة، فإن المسار الحسيّ الذي يقترحه إستوديو ماجيك هو أشبه بمقطوعة موسيقية تتطور إيقاعاتها بعناية، تنقّس وفسحات صمت، تفاعل بواسطة زر الضغط، ومستشعر التنفس وكاشف الحركة، والانتشار الجاف، والتشرب والتقطير. وقد وصل بهم الاهتمام حدّ الإشارة إلى فعالية

جهاز حاسة الشم
إستوديو ماجيك



الاحتياجات بشكل كافي كي تخصص لها الموارد اللازمة، سواء أكانت بشرية أم مالية، قليلة جداً وتستحق الثناء. لذلك، يتطلب الأمر جرأة كي نقدّم معرضاً للجمهور يعتمد على حاسة الشم، وهو ما يعني أن نضع مؤسستنا في مصاف أماكن "الرفاهية" في العالم. وبما أن جرأة البعض قد تكون مصدر إلهام لسواهم، يبقى أن نتمنى لـ "عطور الشرق" أن يكون علامة فارقة في تاريخ معارض العطور للأجيال القادمة.

¹ ل. لافيل، "جدلية العالم المحسوس"، باريس، منشورات فرنسا الجامعية PUF، 1954، ص. 148.
² م. كاستيل، "لماذا يجب أن يجعل المتحف الناس يشتمون؟"، OCIM، عدد 202-203، 2022.
³ م. كاستيل، "علم المتاحف الشمي: تحديث مُبهر لمتحفية سترانسكي من خلال الرائحة"، أطروحة دكتوراه نوقشت بتاريخ 7 مايو 2019.
⁴ أ. ديفاليه، ف. مايريس، "القاموس الموسوعي لعلم المتاحف"، باريس، أرمان كولان، 2011، ص. 365.
⁵ ه.ج. فوسيلون، "المفهوم الحديث للمتاحف"، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي لتاريخ الفن، باريس، 1921.

الجزء الأول
الطبيعة السامية والسحيّة



الراتنجات والنكهات

إليزابيث دودينييه

جامعة جنوب بريثاني، مديرة قسم العطور وعلم النبات في الوكالة الفرنسية لتنمية العلا

هيمنت ثلاثة أشكال لفترة طويلة على استخدامات المواد العطرية: الزيوت التي تستعمل للنقع، والتبخير - البخور النقي أو المختلط - ومياه الأزهار لاحقاً. ومن اللافت للنظر في هذا الصدد أن هذه الأسس الثلاثة لا تزال حاضرة بقوة في الحضارة العربية حتى يومنا الحاضر. استُخدمت الراتنجات منذ العصور القديمة، بشكل رئيسي في البخور، ولكن أيضاً، بالنسبة لبعضها، مثل المرّ في الزيوت المعطرة أو الطقوس الجنائزية، وبالطبع طبيياً وفي طقوس السحر. كان للبخور الدور نفسه الذي تؤدّيه العطور نظراً لتأثيره المباشر على إثارة الانفعالات، كما يشهد على ذلك بلوتارك في كلامه عن "الكيفي" المصري - وهو بخور طقسي مركّب: "ينبعث منه بخار عذب وممتع يُغيّر أحوال الهواء. يتسلل إلى الجسم عن طريق التنفس، يداعبه بطريقة لطيفة ولا شعورية، يدعوه إلى النوم وينشر حوله تأثيراً لذيذاً... هذه الأبخرة التي تؤثر على المخيلة، وهي الطاقة الفاعلة بقوة في الأحلام، تجعلها بطريقة ما مثل مرآة شديدة النقاء" (بلوتارك، الفصل 80).

أدت النباتات العطرية في العصور القديمة دوراً يتراوح بين المدنس والطاهر. فغالباً ما يصعب التمييز، عند استخدامها في البخور أو في الزيوت العطرية، بين ما هو عائد للرائحة - تأثيرها البيولوجي، لطرد الميازما أو تحفيز الانفعالات - وما هو خاص بالرمزية. في الواقع، ترمز الزيوت والبخور إلى الطابع الروحي الذي تتسم به بيئتها، أرض بونت في مصر الفرعونية، أو غابات لبنان المرتفعة، بالنسبة لعالم المشرق وبلاد ما بين النهرين. في الألفية الأولى قبل الميلاد، ومع ترويض الجمل العربي، تأسست طرق البخور الأولى في شبه الجزيرة العربية: وقد أدخلت هذه الطرق شبه الجزيرة العربية في تاريخ العطور من خلال علاقة مميزة جمعت بين التجارة واكتشاف أنواع جديدة وتطوير المحاصيل والابتكار في تقنية صنع العطور.

أدى إرساء هذه التجارة المنتظمة لمسافات طويلة في ذلك الوقت إلى ظهور عاملين يشكّلان في تاريخ النباتات العطرية، وخاصة تاريخ الراتنجات أو المواد الخام المماثلة، قطيعة مع الفترات السابقة: من ناحية، تحوّل استخدام النباتات العطرية من المجال الروحي إلى مجال الموضة، ومن ناحية أخرى، تشكّل بدايات العولمة وما رافقها من عمليات الغش والتزييف والتقليد.

الصفحة 36

9

صب تجسيم من معبد

خثشيسوت يمثل شجرة بخور

الدير البحري، مصر

1460-1480 ق.م.

(تاريخ النموذج، 1600-2000

تاريخ الصب)

10

ديوسفوريدس

حصاد بلسم اليهودية" كتاب

الحشائش"، الترجمة العربية لـ

De Materia Medica

سمرقند، أوزبكستان

نسخة تعود لعام 1082

وهو بعض على صوب منها بلده حتىه اودهن الحما ودهن المصطكى ودهن
السوس ودهن البار ودهن مطبوخ ودهن بعض نعل ودهن سمع ودهن جلاط ودهن
الاسر او يدهن الحنا حتى روحا والتسبل الي معرفة هدا هه وذلك ان الخالص
اذا قطر منه على صوفه و غسل بعد ذلك ولا يدهن فيه واما المصنوس
فانه يدهن فيه واما الخالص اذا قطر منه على ثياب اجوده واما بعض من لا يفعل
ذلك واما الخالص اذا قطر منه على الثياب فيلزم ان يدهن في فوام اللد بسرعة
واما المصنوس فانه يدهن في
من الزيت ودهن الاربعين
منزله الكواكب واما
الخالص اذا قطر منه
ويعطى من طر ان الخالص
اذا قطر على الثياب فيلزم ان يدهن
في عومه فانه يدهن في
واما كسوليسا وهو عود
الطلسار فاذا حوده ما كان
حده فنادشوا العبدان احسن
طيب الراخه فهو حومه راخه
وهو الطلسار وانه حومه
الحنا حتى حده ما كان اسهل
من ثياب ربه حبرا بلذع



بمات الحما حيد

اللسار وحتدوه حده اسرا وهو حومه راخه ودهن اللد ودهن
حده ودهن حده ودهن حده ودهن حده ودهن حده
عليه فانه صعب فارت او شلم حده صه هه فهو نفسه الذاهم بالفضل
فهو دهن اللد ودهن حده ودهن حده ودهن حده ودهن حده
من دهن حده اذا حمله مع سمع دهن حده ودهن حده ودهن حده
انها الشاه ودهن حده ودهن حده ودهن حده ودهن حده

تطور المصادر: من الرمزي إلى الدنيوي

نتيجة لحركة نشأت منذ الألفية الثانية قبل الميلاد، أصبحت الغرابة والندرة والموضة هي المحركات الرئيسية للبحث عن المواد الخام العطرية واستخدامها. أصبحت الخلاصات العطرية ترتبط بالرمزي، بما هو مختلف، بالمصدر البعيد، والطابع الثمين، مما يُبرز قيمة من تُهدى إليه أو من يتعطر بها. وقد توسّع هذا التوجّه عبر التاريخ إلى أن احتلّت مكان الصدارة جلّ الراتنجات خفيفة الوزن وعالية الثمن والقابلة للحفظ لمدة طويلة.

إن إنشاء الطرق البرية بين الجنوب والشمال والتي امتدت بعد ذلك على مسافات طويلة في عالم البحر الأبيض المتوسط وفي المشرق القديم، ثم نمو التجارة البحرية بدفع من الإمبراطورية الرومانية، أسهم تدريجياً في توسيع المصادر المتاحة باتجاه الشرق. ومن المؤكد أن مصادر المواد الخام لا تزال محاطة بالأساطير التي ألّفها التجار للحفاظ على تفريدها وتعزيز طابعها الثمين، ولكن الأمر لم يعد يتعلق بمناطق جغرافية رمزية. وهكذا، ذكر المؤلفون القدامى أن العرب كانوا يحرقون اللبني [الإصطرك] لإخافة الثعابين الوحشية التي تحرس بخور اللبان. وقد كان هذا البخور يُنتج من مصادر خارج شبه الجزيرة، ربما من اللبني الموجودة حول البحر الأبيض المتوسط، أي شجرة المحلب، من الفصيلة الإصطركية.

ووفقاً للمؤلفين اليونانيين واللاتينيين، كان المر يعبر على طرق شبه الجزيرة العربية (Commiphora myrrha)، وهو من النباتات البخورية، ولكن قد يشمل ربما العديد من الأنواع الأخرى من الصنف نفسه)، واللبان (البوسويلية المقدسة، Boswellia sacra)، ترافقه القرفة والكاسيا، والكالاموس (الذي غالباً ما يُشار إليه على أنه القصب العطري أو قصب الطيب، Acorus calamus وهو من فصيلة أحاديات الفلقة)، على الرغم من عدم وجود هذا النوع في شبه الجزيرة. وهذا يعني، إذا كانت التعريفات التي أشار إليها الباحثون دقيقة، أن التجار العرب كانوا يتاجرون، منذ الألفية الأولى قبل الميلاد، بمواد خام غير موجودة في شبه الجزيرة العربية، كالقرفة والقصب العطري. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنه حتى الآن، فيما يعود للعصور القديمة، لا يوجد أي أثر يدل على وجود القرفة في علم الآثار النباتية. ومع إنشاء طرق بحرية منتظمة في ظل الإمبراطورية الرومانية، أصبحت المصادر الهندية أكثر تداولاً. وهي تتضمن بشكل خاص البخور الهندي، المنتج محلياً من اللبان المنشاري (Boswellia serrata)، والبديليوم أو "المر الهندي"، وهو بلسان محلي (Commiphora)، وناردين الهيمالايا.

اندرج البحث عن المواد الخام غير المحلية أيضاً ضمن اهتمامات الممالك العربية الجنوبية. وتدل النقوش الموجودة على مذابح البخور المكعبة على استخدام راتنج نبات القريضة الذي تقع أقرب مصادره في تلك الفترة في بلاد الشام وقبرص، مع وجود نبات القريضة الكريتي (Cistus creticus) بشكل رئيسي. وعلوّة على ذلك، وبحسب المؤلفين اليونانيين والرومان، ارتبط راتنج القريضة ارتباطاً وثيقاً بالعرب (في الواقع بالأنباط)، الذين نسبوا إليهم أبوة اكتشافه. فالماعز التي

كانوا يرسلونها للرعي في الأحراج كانت تستمتع بقرض تلك الشجيرة الراتنجية العطرة، والتي كان عصيرها يرطب لحي الماعز وشعرها، فيتم تمشيطها بعد ذلك لاستخلاص الراتنج. ولعلّ منشأ هذه الأسطورة يعود إلى الرائحة الحيوانية للمادة، إلى حد ما.

وفي العصور الوسطى، مع سيطرة العرب على الطرق البحرية المؤدية إلى الصين، امتدّت المصادر إلى ما هو أبعد من الهند، إلى جاوة وسومطرة وإندونيسيا وكذلك إلى شبه جزيرة جنوب شرق آسيا. وتتيح لنا النصوص العربية والصينية وحطام السفن الآسيوية توثيق المواد الخام العطرية التي كانت تنتقل على طرق التجارة المختلفة من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب. هكذا أدخل الكافور والعود والعنبر والمسك إلى صناعة العطور ودستور الأدوية العربي، ومن هناك إلى الغرب وفي المقابل، نُقل اللبان والمر إلى

الصين حيث تم توثيقهما توثيقاً جيداً منذ القرن التاسع الميلادي.

يعود أقدم وصف لقطاف محصول الكافور في سومطرة إلى القرن العاشر الميلادي بقلم موسى بن رباح الأوسي السيرافي. وهناك حطام يعود تاريخه إلى ما بعد عام 1271م، تم اكتشافه في عام 1973 في خليج تشوانتشو في الصين، وُجد فيه أكثر من سبعة أطنان من الأخشاب العطرية (غير محددة)، والفلفل، وجوز الأريكا، والبخور. كما ورد ذكر العود، أو خشب الأغالوش، في وقت مبكر جداً من قبل المؤلفين العرب. وهو يتشكّل في قلب الأشجار الاستوائية في إندونيسيا وجنوب شرق آسيا وبابوا غينيا الجديدة، خاصة في شجر الأكويلدريا (فصيلة المتنائيات)، بعد الجروح والعدوى الفطرية التي تصيب الأشجار، وهو ما يصعب إلى الآن إنتاجه عن طريق الزراعة. ويذكر البيروني (973م - بعد 1050م) وجوده في خلطات يحرق معها العنبر والمسك. ويستشهد به ابن منظور (1233م - 1311-1312م) تحت مصطلح عود معطر أو "خشب منقوع في ماء عطر ومُراد حرقه كبخور". من ناحية أخرى، فإن خشب الصندل، والاسم العربي مأخوذ من اللغة السنسكريتية- يُنصح به بشكل أساسي، كما توجي بذلك مصادر هندية، للاستخدامات في الزيوت الطبية. وفي القرن السادس عشر الميلادي، وصل لبان جاوي، وهو منتج من أنواع مختلفة من الإصطرك



10

ديوسقوريدس
حصاد بلسم اليهودية، "كتاب
الحشائش"، الترجمة العربية لـ
De Materia Medica
سمرقند، أوزبكستان
نسخة تعود لعام 1082



الآسيوي، إلى الغرب تحت الاسم العربي لبان جاوي (بخور جاوة)، مما يشهد على دور الوسيط الذي كان العرب يؤدّونه في تداول المواد الخام الجديدة في ذلك الزمن.

منتجات مختلطة ومجهولة ومغشوشة ومزيفة

تظهر نقطة قوة ثانية ناتجة عن طبيعة المنتجات ذاتها. فيما أن تبادلها كان يجري في أغلب الأحيان بشكل غير منظم، وبسبب مصدرها الجغرافي البعيد، فقد أدى ذلك منذ البداية إلى ظهور العديد من الخلطات ومن عمليات الغش

والترريف. في الواقع، أصبحت الرائحة والمظهر العنصرين الرئيسيين لتقييم المنتجات، مما حفّز التجار على تنويع المصادر لتلبية الطلب، لدرجة أنه غالباً ما يكون من الصعب تحديد نوع بعينه لمستحضر معين.

ربما استخدم العرب المصادر الأفريقية في أنواع اللبان (البوسويلية، *Boswellia*) منذ الألفية الأولى واستمر ذلك إلى اليوم. هذه هي حالة "اللبان المقدس" *Boswellia sacra*، لا سيما في الصومال، و"اللبان الحبشي" *Boswellia papyrifera*، و"البخور السوداني" والتي تتقارب أسماؤها العامية من أسماء البخور العربي. كما أن عدة أنواع أخرى من الجنس ذاته كانت موجودة في بلدان شرق القرن الأفريقي قد تمت إضافتها في حينه. واستُخدمت كذلك الأنواع المستوطنة في سقطرى.

سيستمر هذا الالتباس في المصادر مع مرور الوقت وسيظل أصل البخور

غامضاً لفترة طويلة بالنسبة للغرب. في القرن الثامن عشر الميلادي، نسبة ليينيه في كتابه "المادة الطبية" إلى شجرة العرعر. لكنّ الوصف الأول للنوع فقط يعود إلى عام 1807 من خلال النوع الهندي المعروف باللبان المنشاري *Boswellia serrata* فيما يعود وصف الأنواع العربية إلى عام 1847. تمكنت البعثة الدنماركية الشهيرة، بقيادة عالم النبات المستكشف بيهر فورسكال، في شبه الجزيرة العربية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، من تحديد العديد من أنواع البلسان *Commiphora* (مصادر المر على وجه الخصوص) ووصفها، بما في ذلك شجرة البلسم *Commiphora gileadensis*، لكنها فشلت في تحديد مصادر اللبان. وأشار كارستن نيبور، العضو الوحيد الذي ما زال على قيد الحياة في البعثة، إلى أن بخور الأشجار المحلية لم يكن مطلوباً من قبل العرب الذين استخدموا البخور الهندي فقط. وخلص إلى أن البخور العربي اكتسب اسمه لأن العرب كانوا يتاجرون به، إلا أنه جاء من الهند. وإلى حدود منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، كان علماء النبات لا يزالون يشكّون بوجود اللبان العربي.

إن علم الآثار النباتية وتحليل البقايا العضوية يجعل من الممكن الآن تحديد أولوية اللبان. وضمن البخور، يمكن تحديد مصادر نباتية أخرى غير البوسويليا في تلك الفترة، بما في ذلك مواقع في شبه الجزيرة، وفي مصر، وفي



الأردن في السياقات النباتية، وفي العالم الروماني. وهو ما ينطبق على راتنجات الفستق (Anacardiaceae) أو البطم التيرينتي (Pistacia terebinthus) أو فستق الأطلس. وهذا الأخير، الذي يبدو أنه كان البخور المرجعي لوقت طويل خلال العصر البرونزي، استمر استخدامه حتى القرون الأولى بعد الميلاد. والأكثر إثارة للدهشة أننا تمكنا كذلك من توثيق الراتنجات الأفريقية من النوع الكوبالي، المستخرجة من نبات الكناريون Canarium، وهي فصيلة أخرى من البخوريات، كما وثقنا في العصور الوسطى في أحد موانئ البخور شجرة Hymenaea، وهي من عائلة البقوليات، تنتج راتنجاً شبه أحفوري. وعلى الشاكلة نفسها، فإن تحليلاً حديثاً لرواسب الراتنج في معبد حتشبسوت (القرن الخامس عشر قبل الميلاد) حيث احتفل بنجاح رحلة استكشافية إلى بلاد بونت - التي تُعرف عمومًا باسم القرن الشرقي لأفريقيا - لاستعادة السينتر والأنتي، وهما من الراتنجات التي استخدمها عظماء الرومان، حدّدت المصدر النباتي لهذا الترسب على أنه من لبان البحر الأبيض المتوسط وليس من المر أو البخور كما كان متوقعاً.

يدعونا كل هذا إلى الاعتقاد بوجود جغرافيا معقدة لتبادلات الراتنجات، وذلك يمكن أن ينسحب على العديد من المواد الخام العطرية الأخرى. وهو ما يستدعي قراءة نقدية للنصوص تأخذ في الاعتبار اختلاف معايير ذلك الزمن مقارنة بتلك المعتمدة اليوم في عمليات التبضع من المواد الخام في عالم صناعة العطور، أي هوية المادة ومصدرها.

12

العقري
اللسان، "مسالك الأبطار في
ممالك الأمصار"
دمشق، سوريا
نسخة مؤرخة من القرن
الرابع عشر



المواد الحيوانية في العطور

أنيا هـ. كينغ

أستاذة مشاركة في التاريخ بجامعة جنوب إنديانا

أدت العطور ذات الأصل الحيواني دوراً مهماً في العالم الإسلامي، ضمن تاريخ صناعة العطور. لكن استخدامها لم ينتشر بشكل واسع في العصور القديمة إلا في فترة متأخرة عن انتشار نظيراتها من أصل نباتي. ويتعلق الأمر بعطور المسك والعنبر والزباد والأسفاط البيزنطية.

ونظراً لأن المواد العطرية كانت في أغلب الأحيان من أصل نباتي، فقد أثار وجود مزايا عطرية لدى بعض الحيوانات كثيراً من الاهتمام. وقد فُسر وجود هذه المواد بأن الحيوانات كانت تستهلك الأعشاب النباتية: في حالة الأسفاط البيزنطية والمسك، كان من المفترض أن تكون العشب التي يتناولها الحيوان هي الناردين. وقد كان الأصل الحيواني للعنبر محل نقاش، لكن المقتنعين بتلك الفرضية فسروا الأمر كذلك باستهلاك الحيوان لنبات عطري. وفي المقابل، لم يربطوا بين الزباد وأي من النباتات العطرية. والجدير بالذكر أنّ إنتاج الزباد كان، من بين كل هذه الروائح العطرية، الأكثر شهرة في العالم الإسلامي.

إنّ أشهر عطريّين في الفترة الكلاسيكية هما "الغالية" و"الند". وكلاهما عبارة عن مزيج يركّز على المكونات الحيوانية: العنبر والمسك. والغالية عبارة عن مرهم داكن اللون مصنوع من هاتين المادتين العطريّتين المستحبّتين من زيت المورينغا. ويعود اسم هذه المادة المنتجة منهما، الغالية، إلى الثمن الغالي لمكوناتها. كان الرجال يستخدمون هذا المرهم، لاسيّما للعناية بالشعر واللحية. أما الند فهو بخور واسع الشهرة، مصنوع من خشب الصبار، وهو أندر الأخشاب العطرية، ومعزّز بالمسك والعنبر. وهكذا، كانت الروائح الغنية لهذين العطريّين علامة شمية على مكانة اجتماعية مرموقة بين الناس.

كان استيراد الروائح العطرية ذات الأصل الحيواني، وخاصة العنبر والمسك، إلى العالم الإسلامي نادراً نسبياً ومكلفاً. لذلك كان مستهلكو العطور ضحايا عمليات الغش والتزوير من خلال تخفيف تركيز المحلول. تصف العديد من النصوص الدينية بالتفصيل أنواع الاحتيال المختلفة الممارسة في استعمال كل مادة عطرية. كما كان هناك العديد من الصيغ لصنع العطور المقلدة بمكوّنات أقلّ تكلفة.

زين الدين علي الأنصاري الزباد
في الأسر، "اختيارات البديعي"
بومباي، الهند
نسخة مؤرّخة في القرن
التاسع عشر
باريس، المكتبة الوطنية
الفرنسية

كوجك بود وكتر كره زي باد خوانند طبعه وي كرم

بودر سيوم و معتدل بود در رطوبت و بموسسه

ببوسيدن آن و مابدان صداع سرد و در وقت

وزكام رانافع بود و الكريك قير اطرازان بود

و درم شربيه كم مفرج بود بگدازند و بياشامند خفقان زائل كند و ضعف

دل را و درين عمل نجابت كمال بود و اگر زني و شخو از زايد بگدم از عي با كرم

ز عفوان در هرق مرغ فربه كند و بياشامد زائيدن بروي آسان كرد

زبل بپارسى سر كين كويند و مختلف بود بسبب اختلاف حيوان و اختلاف

اشخى صن كمنوع تنها فاطه سان و مجموع زبلها محلل و مسخن و محقق بود مجموع

مفصل گفته شود **زبل الاطفال** آنچه اول از طفلان برون آيد چون پستاند

كند و سخي كند با همچنان ورق با ميشا و همچنان نبات و در چشم كند سفيدى كند

چشم بود ز ايل كرواند و چند روز بهترين زبل طفلان آن بود كه از طفلى كرتكه

محموظ باشد از تخم طوط و بعل بر شند و بدان تكه كند خنق و در بگدازند بود

و با در حلق و منده همين عمل كند و همچنين كيه كه توهم حلقى پيدا كند با و زديك كند

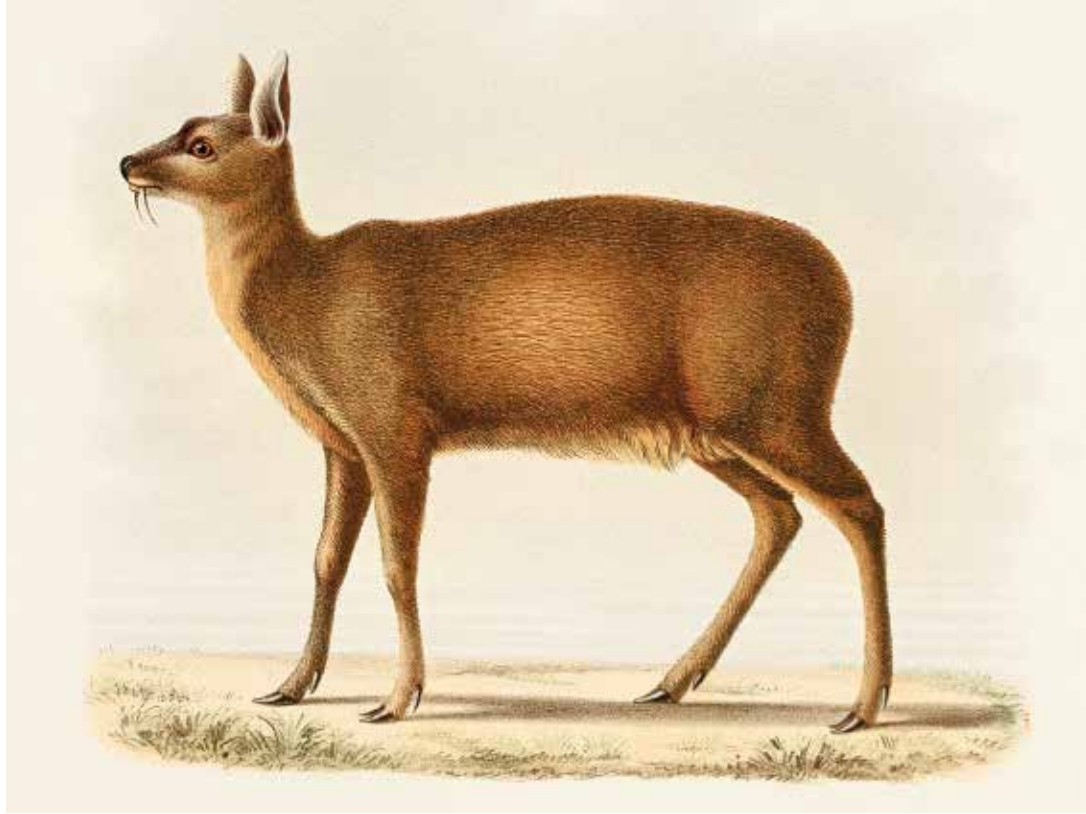
باشد و احتياج بقصد باشد از خنق سخت چون زبل كووك خشك كرت بعل

معجون كند و بر حلق او طلا كند نجابت نافع بود و مجرب و بايد كه غده كووك

سه روز ترمس بانان تومردى كه نمك خوش كرده باشند و شربيه كه انكلى مزاجى باشد

باشد





14.
هنري ميلن إدواردز
أيل الهيمالايا المسكي
أبحاث خدمة التاريخ الطبيعي
للندييات
أطلس، اللوحة 20
باريس، ج. ماسون
1874-1868

الطب التقليدي. وبسبب استغلاله لقرون في صناعة العطور والطب، أصبح غزال المسك الآن مهددًا بالانقراض. تحظر اتفاقية التجارة الدولية المتعلقة بالاتجار بالحيوانات والنباتات البرية المهددة بالانقراض (CITES)، الاتجار بمعظم أنواع غزال المسك. وهناك محاولات لتربية غزال المسك، لكن تجارته غير المشروعة لا تزال مستمرة وتهدد بقاء هذا الحيوان الرائع.

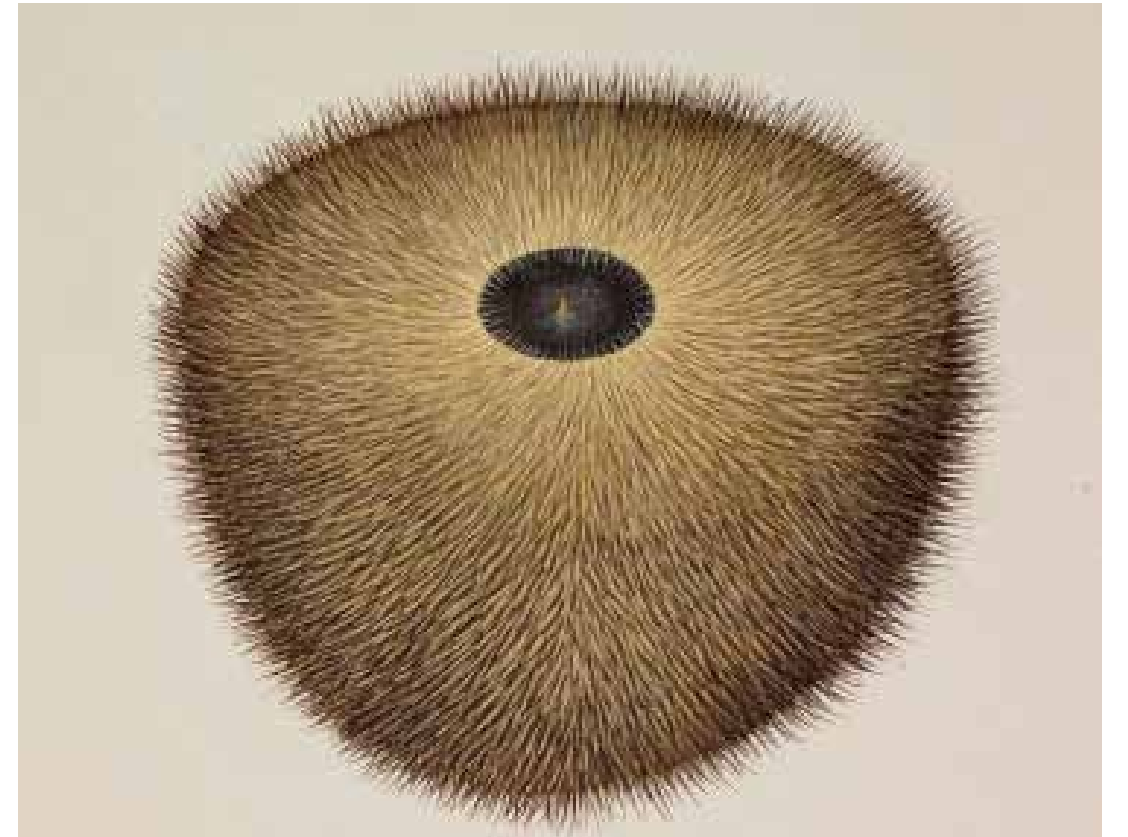
مثل العديد من العطور ذات الأصل الحيواني، بدأ استخدام المسك في وقت متأخر نسبياً من تاريخ البشرية. ويظهر في التراث الإسلامي منذ بداياته، كإرث من فترة ما قبل الإسلام، كما يتم ذكره في الشعر العربي وفي وثيقة وصلتنا من اليمن. وهو مذكور في القرآن الكريم (26:83) في وصف الجنة، وتُبين العديد من الأحاديث النبوية الشريفة أنّ النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يوافق على استخدامه ويستحسنه. وقد رفع هذا الاستحسان من مكانة المسك في الحضارة الإسلامية، حتى صار عنصراً دائماً الحضور في وصفات العطور الراقية خلال العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، كما كان يُستخدم على نطاق واسع في الطب.

تتحدث المصنّفات الجغرافية الإسلامية حول آسيا، عن المسك وأصله، وتربطه بقصص حول التيبب والشعوب التركية والصين والهند. إلا أن هذه القصص التي توضح ارتباط المسك بالحيوان الذي يفرزه، والذي يسمى الغزال باللغة العربية، تتأرجح بين الواقعي والغرائبي، وكثيراً ما تتكرر في الأدب الإسلامي.

المسك

تُفرز المسك أنواعٌ مختلفة من ذكور غزال المسك. تعيش هذه الحيوانات في المناطق الجبلية في آسيا الداخلية الممتدة بين حدود الهند وجنوب شرق آسيا، مروراً بالصين ومنغوليا وروسيا وحتى شبه جزيرة كوريا. ويُعرف غزال المسك السيبيري باسم "أيل سيبيريا المسكي" *Moschus moschiferus*؛ وتضم هذه العائلة كذلك "أيل الهيمالايا المسكي" *Moschus chrysogaster*. وغزال المسك صغير الحجم يتميز بعدة خصائص لافتة، فهو من دون قرون وله أنياب طويلة. يُنتج ذكور الغزال المسك من خلال غدة تقع فوق مجرى البول بيضة سنتيمترات، وتسمى أيضاً كيس المسك. وغالباً ما كانت هذه المادة العطرية تُباع مباشرة في هذا الكيس، تأكيداً على أصلته المفترضة. بمجرد أن يُؤخذ من الغزال، يظهر الكيس على شكل جيب جلدي مُشعر مملوء بالمسك، وهو عبارة عن إفراز سائل أصفر اللون، ولكنه يصبح مادة حبيبية ذات لون بني مائل إلى الحمرة، ثم يتحول في النهاية إلى اللون الأسود. ينتج كل غزال حوالي 25 غراماً من المسك، كل عام.

لقد اختفى المسك بشكل أو بآخر من صناعة العطور خلال القرن الماضي بسبب ظهور البدائل الاصطناعية. كما تم تقييد تجارته من أجل حماية الأنواع التي تنتجها. لكن الطلب على المسك الطبيعي لا يزال قائماً، خاصة لاستخداماته في



13.
ج. بريويست
غدة المسك من
غزال المسك (أيل
سيبيريا المسكي)
بنكولن، سومطرة
حوالي عام 1824

العنبر

العنبر منتج شمعي، وهو عبارة عن تصلّب معوي لحوت العنبر الكبير (Physeter Macrocephalus). بمجرد جمعه وتعتيقه، تفوح منه رائحة لطيفة ليست قوية جداً ولكنها تدوم لمدة طويلة. وقد أدّت الرغبة في إعادة تكوين مميّزاته إلى اختراع فئة كاملة من المستحضرات العطرية، وهي مختلف أنواع العنبر، وتتضمن مواد عطرية مثل "اللودنوم" أو اللادنة. وبسبب القيود المفروضة في عصرنا على التجارة في المنتجات المشتقة من الحيتانيات وتوافر بدائل مشابهة مصنعة، نادراً ما يتم استخدام العنبر.

بدأ استخدام العنبر في صناعة العطور والصيدلة، خلال العصور القديمة المتأخرة، وأصبح مكوناً مميزاً للعطور في العالم الإسلامي. وعلى الرغم من عدم ذكره في القرآن الكريم، إلا أن النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم) كان يستخدمه وفقاً للأحاديث النبوية الشريفة، وهو يحظى بمكانة أساسية في التقاليد الإسلامية لأنه يشكل مع المسك إحدى النعم الموجودة في الجنة. استُخدم العنبر في صناعة العطور ضمن مجموعة واسعة من التركيبات، لكن استعماله الأكثر رواجاً كان للبخور والمراهم.

شكّل أصل العنبر الرمادي موضوعاً للكثير من التكهنات. وقد كان هناك اعتقاد بأن العثور عليه يتم غالباً عندما يقذفه المحيط. لكن الفكرة التي لقيت قبولاً واسعاً هي أنه عبارة عن إفرازات من قاع البحر، تشبه الكمأة أو حتى النفط، وتطفو بعد ذلك على سطح الماء. ونظراً لأخذه أحياناً من حيتان العنبر مباشرة، فقد انتشرت على نطاق أوسع فكرة أن هذه الحيتان كانت تأكل العنبر الرمادي. أخيراً، نظراً لأن العنبر غالباً ما يظهر مغطى ببراز حوت العنبر، فقد كانت هناك أيضاً نظرية مفادها أنه شكل من أشكال البراز.

تم العثور على العنبر في جميع المحيطات، لكن المؤلفين الإسلاميين ربطوه بشكل خاص بالمحيط الهندي، وساحل الشّحر في جنوب شبه الجزيرة العربية، وساحل شرق أفريقيا، وساحل الهند وجنوب شرق آسيا. كما كان يأتي من الساحل الأطلسي لشبه الجزيرة الأيبيرية وغرب أفريقيا.

الزباد

الزباد إفراز تنتجه ققط الزباد، وهي مجموعة من أنواع عائلة الزبديات التي كانت تسمى سابقاً دون وجه حق "قطط المسك". يوجد في أفريقيا بشكل أساسي "الزباد الأفريقي" *Viverra civetta*، وفي جنوب آسيا وجنوب شرقها، وهي على التوالي "الزباد الهندي الكبير" *Viverra zibetha* و"الزباد الهندي الصغير" *Viverra indica*. يوجد لدى ذكور معظم أنواع الزبديات غدد رائحة بحجم حبة البندق بالقرب من فتحة الشرج، وهي تصدر إفرازات ذات رائحة قوية جداً. وبمجرد أسر هذه الحيوانات ووضعها في أقفاص، يتم إخراج الزباد بانتظام من الغدة باستخدام ملعقة. سبق استخدام الزباد في شرق أفريقيا ظهور الإسلام. فقد عُثر على زباد في قارورة اكتشفت في أكسوم ويعود تاريخها إلى حوالي عام 600 ميلادي. ومع مرور



الوقت، جاء الزباد الناعم والدّسم ليحل محل المسك والعنبر، فصار هو "الغالية" في زمن آخر، وقد أطلق عليه هذا الاسم بدوره.

خلال العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، كان الزباد واسع الشهرة رغم أنّ المؤلفين لم يذكروه كثيراً، واستناداً إلى وصفات العطور، فإنه نادراً ما كان يدخل في تصميمها. ويفسّر هذا بالشك في أن استخدام الزباد مناسب، نظراً لأصله. ونقل الجاحظ عن أحد العطارين أنه في نقاشه للأصل الحيواني للمسك، أتى على ذكر الزباد أيضاً: "لولا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تطيّب بالمسك لما تطيّبت به، فأما الزباد فليس مما يقرب ثيابي منه شيء".

ومع ذلك، لدينا أدلة على أنه استُخدم كثيراً، حتى لو اعتبره العطارون والأطباء غير ذي شأن، وقد هيمن هذا التوجّه على مصادرنا المكتوبة. فقد استخدمه الناس العاديون في بعض العطور كبديل للمسك والعنبر، نظراً لثمنهما الباهظ.

أنتج الزباد في جميع أنحاء جنوب آسيا وجنوب شرقها، وقد وصل إلى العالم الإسلامي من خلال التجارة مع المحيط الهندي. ومع ذلك، كان تدجين الحيوان المنتج له منتشرًا على نطاق واسع في أفريقيا، ولا سيما في مصر والسودان وإثيوبيا والساحل السواحي وغرب أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. واشتهرت إثيوبيا بشكل خاص بحيوان الزباد، وهناك آثار كثيرة للتجارة به بين تلك الدولة والعالم الإسلامي.

الأسفاط البيزنطية

آخر الروائح العطرية الرئيسية ذات الأصل الحيواني هي الأسفاط البيزنطية. يُطلق عليها أيضاً اسم "الأظافر العطرة" *Unguis odoratus* أو *Onycha*، وبدورها، يعود تاريخها إلى زمن بعيد جداً. في الواقع، استُخدمت الأسفاط البيزنطية في بلاد ما بين النهرين في وصفات البخور المكتوبة باللغة الأكادية، وربما شكّلت أحد مكونات البخور المقدس الذي يأتي ذكره في "سفر الخروج".

يشير اسم الأسفاط البيزنطية إلى الغطاء الخيشومي للرخويات البحرية المختلفة وللقدم التي تستخدمها للانطواء على نفسها. ولهذه بشكل عام مظهر أظافر طويلة داكنة، ومن هنا الاسم العربي "أظافر الطيب"، أي "الأظافر العطرة". في البحر الأحمر، وهو مصدر مهم للصراصير البيزنطية، تشمل الأنواع التي يتم صيدها من أجل غطائها الخيشومي الكثير من الرخويات كالصدفيات والمحار.

يذكر عالم الصيدلة اليوناني ديوسقوريدس (8:2) الأسفاط البيزنطية، ويشكّل وصفه أساس المناقشات الإسلامية حول هذه المادة. فهو يؤكد أنها تأتي من غطاء قشرة تشبه صدفة الموريكس تنتج صبغة أرجوانية. وقد ميّز مختلف أنواعها وفقاً لطريقة نقلها من الهند: فقد فضّل تلك التي يتم جلبها عبر البحر الأحمر على تلك التي تأتي من بابل، ربما عبر الخليج العربي. ويوضح أن الصنف الأول أكبر حجماً وأكثر بياضاً من الصنف البابلي. كما يعزو أصل رائحتها التي

يقارنها برائحة إفرازات القندس القسطورة [القسطوريوم] إلى أن هذه المحارات تتغذى من الناردين في بحيرات الهند.

وبصرف النظر عن نصوص ديوسقوريدس، تذكر المصادر الإسلامية أن الأسفاط البيزنطية جاءت من نقاط مختلفة من الخليج العربي والبحر الأحمر. وكانت البحرين مصدراً مهماً لهذه الأسفاط البيزنطية؛ وقد فضّلها ابن ماسويه على تلك المستجلبّة من البحر الأحمر. فالتى جاءت من هناك، والتي كانت تسمى أحياناً صراصير بيزنطة القلزومية، تُعزى إلى أماكن مختلفة. وهناك نوع آخر ارتبط بجدة وعدن وكان يسمى سفت مكة البيزنطي، أو في كثير من الأحيان السفت القرشي البيزنطي. ويفترض ابن سينا أن هذا الاسم يدل على ارتباط قبيلة قريش بتجارة هذه المادة. وكان ميناء بادي، على الساحل الجنوبي للسودان، أحد مصادرها الأخرى.

تتطلب الأسفاط البيزنطية الكثير من التحضير (كان يجب نقعها وطهيها وتعطيرها) قبل استخدامها. وقد استُخدمت في صناعة العطور خلال العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، لتبخير المكونات المستخدمة لصنع العطور المركبة، ولكن أيضاً بشكل مباشر في البخور.

طرق تجارة العطور

الطرق في شبه الجزيرة العربية وطرق آسيا

ستيرين لو ماغير-جيلون
عالمة آثار في أركايوس، ومحاضرة في المعهد الكاثوليكي بباريس

بحثاً عن العطور

منذ العصر البرونزي، تدل العديد من القطع الأثرية والمصادر النصية على انتقال المواد العطرية من مناطق إنتاجها إلى مراكز الاستهلاك في المدن الأولى، في الهلال الخصيب وفي مصر.

وكان المصريون يتزودون بالراتنجات لتحنيط الموتى وفي الممارسات الروحية. ويشير المصطلحان *ntyw* و *sntr* إلى الراتنجات التي يُعتقد أحياناً أنه يُقصد بهما البخور والمرّ. وبحسب المصادر النصية المصرية، جاء هذان المنتجان من منطقة تُعرف باسم بونت. وقد حدّد بعض الباحثين موقع هذه المنطقة في جنوب الجزيرة العربية، إلا أن آخر الأبحاث تتجه إلى وضع دولة بونت في شرق أفريقيا، على ساحل البحر الأحمر (كيتشن، 2004، ص. 30). وبداية من النصف الثاني من الألفية الثالثة قبل الميلاد، كان الطلب على البخور مرتفعاً ويمكن أن تجلب الشحنة الواحدة ثمانين ألف وزنة من هذه السلعة الثمينة. في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، حاولت مصر السيطرة على مصادر إمداداتها من البخور والمر. وهكذا، فإن المشاهد المنقوشة التي عُثِر عليها في دير البحري تروي الرحلة الاستكشافية التي أمرت بها الملكة حتشبسوت (حكمت من 1490 إلى 1468 قبل الميلاد) إلى بلاد بونت الرائجة بحثاً عن راتنجات ثمينة.

وفي بلاد الشام، بدأ الناس في استهلاك البخور منذ الألفية الثانية قبل الميلاد، على الأقل. وكانت عدة مواقع، مثل حاصور في الجليل أو مجدو في منطقة الكرمل، مراكز تجارية مهمة؛ وقد كشفت الحفريات عن العديد من المباخر. في بداية الألفية الأولى قبل الميلاد، كانت تجارة الأعشاب العطرية مع جنوب الجزيرة العربية راسخة، مما أعطى لغزّة دوراً مهماً، حيث أصبحت هذه المدينة، بعد البتراء، المركز الثاني لإعادة توزيع هذه المنتجات. وبقي هذا الدور قائماً في القرن الرابع قبل الميلاد، وفقاً لرواية استيلاء الإسكندر الأكبر على غزة عام 332 قبل الميلاد، حيث عُثِر على أكثر من خمسمئة وزنة من البخور (حوالي 10 أطنان) (بلوتارك، "حياة الإسكندر"، 25، 6-8). وأضيف البخور والمر تدريجياً إلى الراتنجات ذات الأصل المحلي، والتي كانت تستخدم حتى ذلك الحين، وقد احتلّت مكاناً مهماً في طقوس العبادة.

16.
مبخرة منقوشة
المملكة الحميرية،
جنوب الجزيرة العربية
القرن الرابع قبل الميلاد



إن السيطرة الكاملة على طرق القوافل التي ينتشر عبرها اللبان والمر، على وجه الخصوص، أصبحت هدفاً عسكرياً وسياسياً من الدرجة الأولى. ولتحقيق هذه الغاية، قاد ملك سبأ، كرب إيل وتر (النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد)، ثماني حملات عسكرية تكلفت بالنصر. وكان هذا الملك قد أهدى سنحاريب، ملك آشور الذي حكم من 705 إلى 681 قبل الميلاد، الأحجار الكريمة والمواد العطرية تكريماً له.

أدى المعينيون دوراً أساسياً في نقل الأعشاب وتسويقها، كما يتضح من "التاريخ الطبيعي" لبلينيوس الأكبر (23-79) الذي يذكر أنهم كانوا أوّل من سوّق البخور.

تأسست مملكة حضرموت في الوادي الذي يحمل نفس الاسم، وادي حضرموت، لكن أراضيها امتدّت إلى ما هو أبعد من هذه المنطقة لتصل إلى المهرة شرقاً، وإلى المحيط الهندي جنوباً. وتقع عاصمتها شبوة على مفترق طرق القوافل التي تربط معين أو نجران عبر الصحراء بالمسارات التي تمر عبر الهضاب العالية. قام ملوك حضرموت بتوسيع أراضيهم شرقاً إلى منطقة ظفار الحالية، واستولوا على هذا النحو على منطقة زراعية مهمة أخرى. وهكذا أعطى الملك

18.
ختم نيو-بابلي
بلاد ما بين النهرين، العراق
604-539 ق.م.



17.
تمثال صغير لجمل مع نقوش
بالخط الحجازي جنوب الجزيرة
العربية
الحجاز، المملكة العربية
السعودية
القرن الثاني - الأول ق.م.



نشأة تجارة القوافل

يرتبط تطور تجارة العطور في شبه الجزيرة العربية ارتباطاً وثيقاً بترويض الجمل العربي، مما أدى إلى إنشاء تجارة القوافل في نهاية الألفية الثانية أو بداية الألفية الأولى قبل الميلاد. ويعود تاريخ الآثار الكتابية الأولى المتعلقة بالتجارة عن طريق البرّ إلى القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد. يحمل الجمل ما يصل إلى 240 كلغ من البضائع ويمكنه قطع مسافة تصل إلى 48 كلم يومياً. وبذلك، فإن استخدامه مثل ثورة اقتصادية: فقد أصبح من الممكن الآن نقل كمية كبيرة من البضائع عن طريق البر.

تدل دراسة الكتابات المنقوشة التي عُثر عليها في جنوب شبه الجزيرة العربية، على أن نشأة تجارة القوافل وتنظيمها يعودان إلى القرن الثامن قبل الميلاد. إنّ الفترة الممتدة حتى حوالي القرن الأول ميلادي هي فترة "إمارات القوافل". في اليمن، أدّت خمس ممالك دوراً حيوياً في تجارة البخور، وهي ممالك سبأ ومعين وقتبان وأوسان وحضرموت.



19.
ختم أسطواني وطبعته
مرغاب، طاجيكستان
1500-2100 ق.م. (ختم
أسطواني)؛
القرن العشرون (طبعة)

التجارة البحرية

بالتوازي مع تجارة القوافل تأسست تجارة بحرية. وبالإضافة إلى اللبان والمر، كانت الأعشاب التي تُحرق في جنوب الجزيرة العربية أو المصدرة من هذه المنطقة تأتي من مصادر مختلفة. وقد أدّى تجار معين وسبأ وقتبان دور الوسطاء. فكانت التوابل، مثل الفرفة أو الفلفل، تُنقل من الهند، عن طريق القوارب إلى سواحل جنوب الجزيرة العربية حيث يُعاد توزيعها إلى المناطق الشمالية. يشير نقل هذه البضائع من الهند إلى إتقان الملاحة ويثير مسألة تطور التجارة البحرية في المحيط الهندي.

منذ القرن الرابع قبل الميلاد، ترسخ الطواف البحري حول شبه الجزيرة العربية وكانت الملاحة تربط بين الموانئ. وفي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، تشهد كتابات الملاح اليوناني يودوكسوس سيزيكوس على قدرة قادة المراكب على التعامل مع الرياح الموسمية. كان البحر الأحمر حينها تحت سيطرة البطالمة المصريين، ثم سلكت طريق التجارة الرومانية المسار نفسه. كانت هناك طريقان تجاريّتان بحريّتان تربطان عالم البحر الأبيض المتوسط وجنوب شبه الجزيرة العربية من جهة، وهذه المنطقة الأخيرة بالهند من جهة أخرى، في إطار التجارة "العربية-الهندية". ويشهد ظهور موانئ مثل عدن أو إيجرا كومي أو لوكي كومي أو بيرينيكي في المحيط الهندي والبحر الأحمر على تطور طرق التجارة في هذه المنطقة.

أما أهم كتاب يشهد على تنظيم هذه التجارة في القرن الأول الميلادي فهو "الطواف حول البحر الإتريري"، والذي يؤمّر بيانات جغرافية مع وصف دقيق للسواحل، ومعلومات بحرية وتجارية. وبداية من القرن الثاني أو الثالث

سمهرم إلهان (حكّم في القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد) اسمه لمدينة سمهرم الساحلية، حيث كان بخور ظفار يُرسل إلى حضرموت عن طريق البحر، ثم يُنقل إلى ميناء قاني المتصل بشبوة عن طريق البر. وفي معبد شبوة كان يتوجب جمع كل البخور ليتم دفعه للضريبة. كما كانت هناك طريق تربط شبوة بمأرب عاصمة مملكة سبأ. وأخيراً تنطلق القوافل من مأرب نحو نجران، ثم نحو يثرب (المدينة المنورة) فيألي البتراء وغزة، ومن هناك يُعاد توزيع البضائع نحو البحر الأبيض المتوسط، والشام، وبلاد الرافدين.

ازدهرت ممالك شمال شبه الجزيرة العربية (الدادانيون، اللحيانيون، التيميميون) كوسطاء في هذه التجارة واستقرت في الواحات، مثل العلا أو تيماء. أما الأنباط الذين استقروا في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد في البتراء (الأردن)، فقد استثمروا من خلال التجارة واستوطنوا تدريجياً. وفي القرن الأول قبل الميلاد، غطت المملكة النبطية مساحة شاسعة امتدت شمالاً وجنوباً، من دمشق إلى الحجاز، وشرقاً وغرباً، من النقب إلى الصحراء العربية -السورية.

بعد القرن الأول ميلادي، لم يعد هناك ذكر في أي نقوش مكتوبة لتجارة القوافل في جنوب الجزيرة العربية، ومع ذلك، فهي لم تختف تماماً. ومع ظهور الإسلام، أصبحت مكة المكرمة المركز الديني الأكثر أهمية في المنطقة، وظلت مركزاً تجارياً مهماً. ونعلم على سبيل المثال أنه من أجل التزود بالبخور والعمور، كانت قافلة تسمى "اليتيمة" تقوم برحلة الشتاء إلى جنوب شبه الجزيرة العربية لاستجلب المنتجات الثمينة. هكذا يمكن القول إنّ طرق الحج هي بطريقة ما استكمال لـ"طرق البخور" هذه.

مجرفة بخور
الإمبراطورية الرومانية
(اليهودية، فلسطين)
القرن الأول م.
باريس، متحف اللوفر





20.
سكاف مزخرف من الحجر
الكلسي
قرية الفاو، منطقة الرياض،
المملكة العربية السعودية
القرن الثالث قبل الميلاد -
القرن الرابع الميلادي

تنتشر التوابل والمنتجات العطرية الغربية، إحدى أهم مدن العطور في المنطقة الأوروبية.

أثارت هذه التجارة المربحة شهرة القوى الأوروبية، ولا سيما البرتغاليين. وفي ظل المنافسة مع إسبانيا للسيطرة على الطرق البحرية في المحيط الهندي، قام التاج البرتغالي بتمويل رحلة فاسكو دي غاما، التي دارت حول رأس الرجاء الصالح في 7 نوفمبر 1497، وبعد هذه الحملة، هاجم البرتغاليون الموانئ الواقعة في الجزيرة العربية (مسقط، قلهاة، شحر) أو استولوا عليها وأنشؤوا مراكز تجارية في الهند. وبذلك فتحوا الطريق أمام الإنجليز والهولنديين، وتجاوزوا التجار العرب. ثم استبدت أوروبا شغف بالمسك والأغالوش والمواد الآسيوية الأخرى ذات الرائحة الطيبة، مما سوف يدفع لوضع مقاييس جديدة للأذواق في مجال العطور.

¹ انظر في هذا الكتاب: "الراتنج والنكهات" بقلم إليزابيث دودينييه، ص. 39.

الميلاديين، افتتحت الطرق التجارية البحرية الجديدة إلى المحيط الهندي. في القرن السادس الميلادي، سعت الإمبراطورية البيزنطية للسيطرة على طريق البخور، ولهذا الغرض تحالفت مع مملكة الحبشة في مواجهة مملكة حَمِير التي حكمت جنوب شبه الجزيرة العربية. وفي القرنين السادس والسابع الميلاديين، وهي فترة تميزت بالاضطرابات السياسية، اقتضت الشبكات على المبادلات داخل شبه الجزيرة العربية.

تجارة البخور في العصر الإسلامي

بعد فترة الاضطرابات التي طبعت القرن السادس الميلادي، ضمنت الدولة الإسلامية الفتية الاستقرار السياسي الذي شجّع على المبادلات التجارية. كانت النخب الإسلامية المقيمة في المدن الكبرى في الإمبراطورية تستهلك المنتجات الفاخرة على غرار الخبز والأقمشة والاعطور والأحجار الكريمة. وامتدت الإمبراطورية العباسية (750-1258م) من شواطئ المحيط الأطلسي إلى أموداريا، وسيطرت على الطرق البحرية في البحر الأبيض المتوسط، وفي المحيط الهندي، وكذلك على الطرق البرية، ولا سيما جزء كبير من طريق الحرير. ازدهرت التجارة عبر المسافات الطويلة، وتعززت العلاقات بين العالم العربي والصين. وقد أنشأ التجار العرب مركزاً تجارياً في كانتون. وهكذا، فإن العديد من المنتجات القادمة من الشرق الأقصى، والتي كانت حتى ذلك الحين نادراً ما تُستخدم، بدأت تثبت وجودها في أسواق العطور، ومنها المسك والعنبر وخشب الأغالوش وخشب الصندل والكافور... وحلّت هذه المواد الغربية، التي تعتبر أكثر فخامة، محل المواد المحلية، مثل اللبان. ومن ناحية أخرى، حظي اللبان بتقدير كبير في الصين حيث كان يستخدم بكميات كبيرة كجزء من الطقوس الروحية.

تقع الموانئ التجارية الرئيسية على سواحل الخليج العربي، وشكّلت صحار (عمان) وسيراف (إيران) محطتا استراحة للتجار من الشرق، بين البصرة، الميناء الرئيسي للعراق، والصين. وتصل المنتجات بعد ذلك إلى بغداد، حيث يتلاقى طريق الحرير وطرق المحيط الهندي.

يُعتبر ميناء شحر الواقع على الساحل الجنوبي لليمن أحد الموانئ الرئيسية لتجارة البخور. وبحكم موقعه في منطقة إنتاج اللبان، فقد أسهم في قيام علاقات تجارية مع الصين والهند، بحسب الجغرافيين العرب الذين أطلقوا على هذه المنطقة اسم "شحر البخور". وتُذكر هذه المدينة المرفئية أيضاً في المصادر الصينية باسم شويغو. ومن جهته، أكد ماركو بولو (1254-1324) ابن البندقية على الأهمية الاقتصادية للبخور في هذه المدينة.

تُعدّ عدن أيضاً ميناءً مهماً، حيث نقل لنا الجغرافيون معلومات عن المبادلات التجارية التي كانت تقيمها مع الشرق الأقصى. كما أنها أحد أكبر مراكز إنتاج العطور في شبه الجزيرة العربية.

كانت هذه المنتجات العطرية جميعها تُنقل إلى البحر الأبيض المتوسط عبر البحر الأحمر، قبل إعادة توزيعها في أوروبا. وقد أصبحت البندقية، حيث

مصادر العطور ومصدروها

دومينييك روك

مصدّر للمستخلصات الطبيعية لصناعة العطور، مؤلف "جامع العطور"، و"عند منابع عطور الدنيا" و"عطر الغابات"، و"الإنسان والشجرة، علاقة ترقى إلى آلاف السنين"

إن استخدام كلمة "مصدّر" في قاموس عالم العطور حديث العهد. "من هو المصدّر؟"، قد يتساءل كل الذين يحبّون عالم الشم ويتعاملون معه، والذين ألقوا قصص الشمّ والعصارات والزجاجات أكثر من الحيوط الناظمة للقصص وهي تروي رحلة المواد التي تنتهي في مختبرات الإبداع.

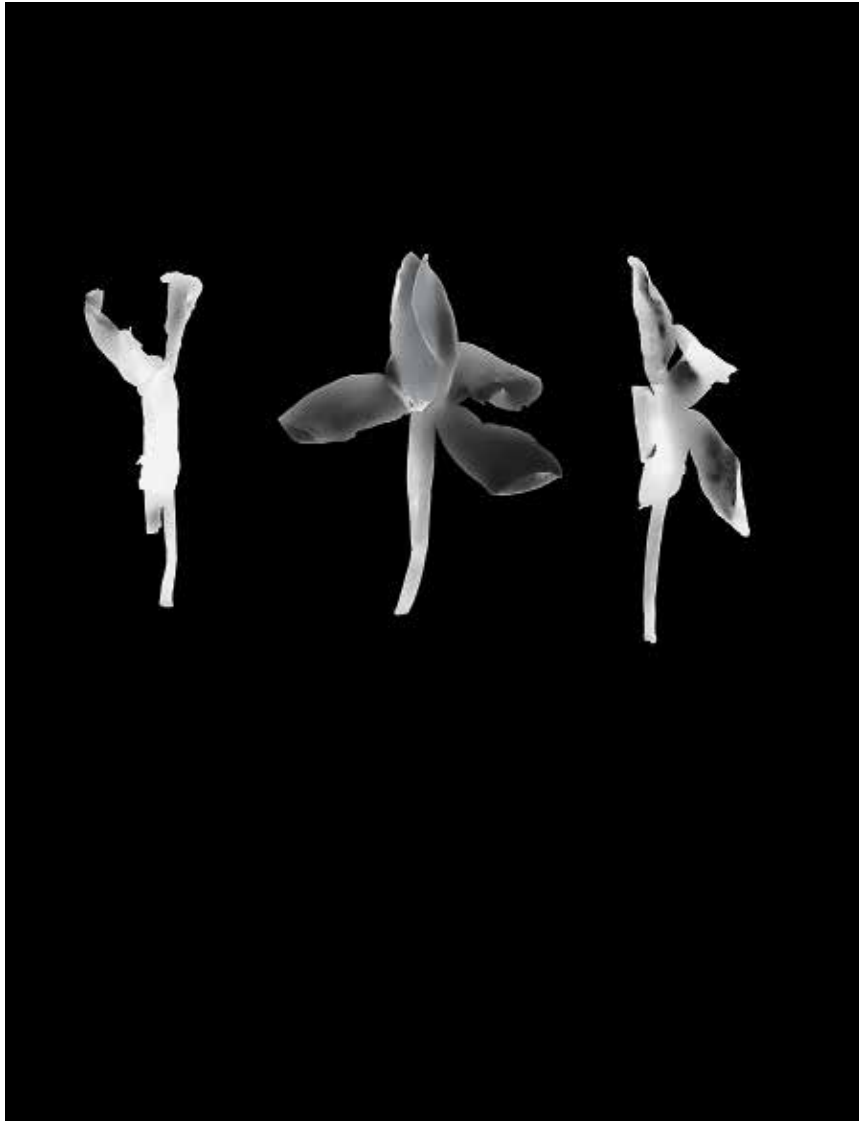
إذا كان هناك من مصدّر، فذلك لأن العطر له مصادر. كلمة جميلة، معبّرة بقدر ما هي غامضة، ويبدو أنها تريد أن تخبرنا أن هناك محيط من العطور تلتقي فيه التقاء التيارات والجدول والأنهار، وكلها تحمل بشكل رمزي خلاصات عطرية قادمة من جميع الشواطئ، من الحقول والغابات، ومن جميع القارات. لذا، نعم، للعطر ينابيع تسقي الجانب الطبيعي منه. غالباً ما تكون هذه المصادر سرية، وأحياناً مخفية، وتوجد في أكثر من أربعين دولة، ومنها تنطلق أنواع وخلاصات ما لا يقل عن مئة وخمسين عائلة نباتية لتصل إلى مختبرات العطور.

لقد كان مصدّر العطور لفترة طويلة مشترياً، وتاجراً، ومقايضاً، وبائعاً. إنه الشخص الذي يعرف أين وكيف يجد المكوّن الذي ينتظره صانع العطور، وهو مطلع على أحوال المهنة ويمتلك المعارف التي تربط بين الحقول والزجاجات المعبّأة. هو يدرك قيمة هذه المعارف ويعتقد أن أفضل طريقة لحمايتها هي الحفاظ على سرّية مصادرها قدر الإمكان. قبل وقت طويل من استخدام الأساليب التي يعتمدها المصدّر اليوم، ظلت المصادر مجهولة ومحاطة بهالة من الغموض. إذا كانت مصادر العطور تنتشر عبر جغرافية العالم، فهي أولاً وقبل كل شيء نتاج الزمن، وإرث تاريخ عمره خمسة آلاف عام. المصدر الأول للعطر منطقياً هو الغابة. فبعض الأخشاب وبعض الراتنجات تفوح برائحة طيبة، بالمعنى الحرفي للكلمة، عند حرقها. ولد العطر من التقاء رائحة خشب أرز لبنان مع راتنجات شجر اللبان والمر في بلاد بونت، وهي فردوس المصريين القدماء، التي تواري خلف اسم غامض الشواطئ العربية والأفريقية خليج عدن.

نحرق خشب الأرز أو العرعر أو خشب الصندل كي تندثر بدخان. نضع حبات البخور وكرات المر على الجمر. الحطابون وجامعو الراتنج هم صانعو العطور الأوائل، والتحطيب وجمع الراتنج هي المهن الأصلية التي ستقود على مر القرون

21
قارورة على شكل جمل
سوريا
القرنان السابع والتاسع





الأرز المزخرفة. فصمغ أشجار الصحراء وخشب أول غابة في العالم، هي المصادر الأصلية والرائعة للعطر الذي بدأ ينتشر في جميع أنحاء العالم. إن قصة العطور، من الأمس إلى اليوم، هي قصة رحلة طويلة. رحلة غير عادية، يجعلنا تسلسل مراحلها ننساق للأحلام. البحر أولاً. ونعلم أن الطوافات كانت تُستخدم لنقل البخور من الصومال إلى اليمن، التي ستكون موانئها نقطة انطلاق القوافل المتجهة شمالاً. عندما تم استخدام الجمل العربي في عهد ملكة سبأ، كان قد مضى ألفا عام على الأقل على وصول الصمغ إلى مصر عن طريق المراكب التي تجوب البحر الأحمر. كانت القوافل بمثابة ثورة، فهي أوصلت البخور إلى البتراء فأثرها، قبل أن يتم توزيعه في جميع أنحاء العالم القديم. في بداية عصرنا، تعلّم الملاحون اليونانيون التحكم في الرياح الموسمية، وقد سمح هذا التقدم الجديد بوصول كميات كبيرة من جميع عطور الهند والشرق البعيد. اكتشف الغرب الهيل والقرفة والجاوي أو حتى خشب الصبار والعود الشهير



إلى الكيميائيين ممارسي التقطير وإلى صانعي العطور المبدعين. تدلنا الخرائط على أن المصادر الأولى للعطور كانت في القرن الأفريقي، وفي جبل لبنان على مسافة واحدة من مصر وبلاد ما بين النهرين، وفي شمال الهند حيث يبدو أن خشب العود وخشب الصندل يجتمعان كي يجسداً معاً، من خلال قوة روائعهما المذهلة، سحر الشرق الذي لن يتوقف أبداً عن إغواء الغرب وإثارة فضوله. إن قوة هذه الروائح الجذابة جعلت نقلها والتجارة بها أمراً لا مفر منه. فقد أراد الفراعنة والملوك والملكات، وعظماء العالم القديم، إحاطة أنفسهم بالعطور وتمييز موقعهم ومكانتهم من خلال الكميات الوفيرة من المواد العطرية التي يمتلكونها. وعندما سافرت ملكة سبأ الأسطورية، منذ ألف عام قبل الميلاد، إلى القدس للقاء الملك سليمان، كانت قوافلها محملة بالبخور والمر بمقادير تفوق كل ما رآه الملك من قبل. استقبلها في قصره المبني حديثاً والمزين بأشجار الأرز. ولا يسعنا إلا أن نتخيل هذا التقاطع الرمزي للراتنجات الأفريقية مع الرائحة الحلوة والخشبية لألواح

وغير ذلك الكثير. اغتنت مصادر العطور بعالم جديد يتكون من نقاط تجميع تمتد شرقاً إلى جاوة والصين.

بعد الخشب والراتنجات والجذور والبذور واللحاء، لم يتوقف مصنّعو العطور عن السعي وراء التقاط رائحة الزهور الرائعة. ومن أعظم الرحلات في عالم العطور رحلة ملكة الزهور، الورد. إن مصدر الوردة الدمشقية، الوردة العطرية العظيمة، يقع في منطقة شيراز. ومن خلال اختراع ماء الورد في القرن الثامن الميلادي تقريباً، تمكّن معلّمو التقطير المسلمون من تعطير العالم من الصين إلى أوروبا لمدة ثمانية أو تسعة قرون، حتى تم الكشف عن روح الورد في القرن السابع عشر في شمال الهند، مما أدخل رائحة هذه الزهرة الأسطورية إلى عالم صناعة العطور الحديثة على شكل زيت أساسي. إن الرحلة من ماء الورد إلى روح الورد هي رحلة رائعة. ولعدة قرون، سعى الناس إلى زراعة الورد العطرة أينما يمكن أن تنمو. أكان في الشرق، في البلدان التي تعبرها طرق الحرير، أم في الغرب. يتم تقطير الورد أو استخراجه في أماكن عدّة في الشرق: انطلاقاً من شمال الهند وأفغانستان وحتى الصين. وفي الجنوب، في شبه الجزيرة العربية، في مرتفعات عُمان، على هضبة الطائف وحتى إثيوبيا. وجهة الغرب، في تركيا وبلغاريا التي تسعى لأن تكون موطن روح الورد، وصولاً إلى المغرب حيث تنمو بعد رحلة طويلة لدرجة تعجز الذاكرة عن استحضار بدايتها. في كل من هذه المحطات، نجد حقول الزهور، أو الحدائق الصغيرة أو المزارع الكبيرة، أو الأنايبق الفولاذية أو النحاسية، حيث غالباً ما تصادف أنواعاً بدائية صغيرة، لم تتغيّر منذ أربعة قرون. ثم هناك النساء والرجال الذين نلتقي بهم عند مصادر العطور في العالم. مزارعو الورد وقاطفوه، ووازنو الأكياس وناقلوها، ومحقّلو الأنايبق، وفنيو التقطير أو الاستخلاص، ومتخصصو التحليل، ورجال الأعمال. عالم يواصل نسج خيوط نسيج قديم. فهناك ورثة التقاليد العائلية والمحلية، والبعض منهم يحب أن يتباهى بصور الأجيال السابقة التي تتصدّر جدران محترفاتهم. تروي حكاية الوردة الملحمية ماهية مصادر العطر، من أين أتت وماذا حدث لها. وفي هذه الرواية تؤدّي بلاد الإسلام دوراً كبيراً حيث أدمجت الحضارة الإسلامية العطر في ثقافتها وأولته اهتماماً بالغاً. فماء الورد مطهّر ورائحته ضرورية للحياة. كما أن قوافل التجار المسلمين رسّخت زراعة زهرتين بياضين استثنائيتين هما الياسمين وزهر البرتقال، وعزّزت مكانتهما.

وإذا كان موطن الياسمين في سفوح جبال الهيمالايا، فإن الرحالة والتجار العرب هم الذين اكتشفوه وأدخلوه إلى عالم البحر الأبيض المتوسط في بداية القرن السابع عشر. وقد بلغت قوته في الإغواء حداً جعل جميع البلدان تتبناه وتعمل على أقلمته، من اليونان إلى إسبانيا، ومن المغرب إلى مصر. في مدينة غراس الفرنسية، من أجل التقاط روح الياسمين، قامت شركات العطور بتطوير تقنية استخلاص العطر، وهي تقنية تسمح باحتجاز الرائحة الزكية على دهون الحيوانات وإنتاج مستخلصات من هذه الزهرة المقاومة للتقطير. وعلى غرار الورد، يمكن تقطير زهر البرتقال الذي شكّل دوماً مصدراً للمياه المعطرة، التي

تعطى رائحتها ونكهتها بأهمية أساسية في ثقافة الإسلام وفي مطبخه. وهنا مرة أخرى، كان المحاربون والتجار العرب هم من أدخلوا أشجار الحمضيات إلى أوروبا، بعيداً عن أصولها الصينية. وهذه الأشجار لديها كل المميّزات: تحمل أوراقاً خضراء رقيقة وجذابة على مدار السنة، وتنتج ثماراً صالحة للأكل ذات ألوان زاهية، وتكسوها في الربيع زهور ذات رائحة طيبة ومختلفة الأنواع. والأكثر عطراً في هذه اللوحة هي زهرة شجرة البرتقال الحامض. أشجار البرتقال، الحلو أو الحامض، وأشجار البرغموت، وأشجار اليوسفي، شكلت تدريجياً مصدر ثروة للبستانيين العرب، بعد أن أغراهم مزيج أشكالها، وخليط ألوان أوراقها وثمارها، ورائحة أزهارها. وقد أصبحت هذه الأشجار، في حدائق القصور والمساجد، صنواً لحرير المياه المترقّق الذي يجري ويتدفق ويغني.

في القرن التاسع عشر الميلادي، مع الزيادة الكبيرة على طلب العطور وإنتاجها، شهدت صناعة العطور ثورة في تقنية استخلاص المذيبات، كما فُتحت أمام شركات غراس الفرنسية أسواقاً جديدة في المناطق التي دخلتها الجيوش الاستعمارية. انطلق الياسمين وزهر البرتقال، اللذان استوطنا مدينة غراس



إبريق ماء زهر
القرن السابع عشر
لندن، متحف فيكتوريا وألبرت

إلى جانب الورد، في هجرة غير مسبوقه. بدأت مشاتل الياسمين وأشجار الليمون الحامض، التي ضاق بها المجال في غراس، رحلة إلى كالابريا والأندلس قبل عبور البحر الأبيض المتوسط لترزهر في المغرب، ثم في الجزائر وأخيراً في مصر. إنها لملمحة مثيرة، شهدت انقلاب مجرى التيار الذي كان ينقل العطر من منابعه في الشرق إلى غراس، لينطلق في رحلة جديدة نحو الجنوب والشرق حيث تبرز منابع جديدة. واليوم تتقاسم مصر والهند سوق الياسمين.

لا تزال بصمة العقود الممتدة من عام 1860 إلى عام 1930 حاضرة بشكل كبير بعد مرور قرن تقريباً. فالخريطة العالمية الحالية لمصادر مكونات العطور الطبيعية تتكون إلى حد كبير من زراعات البحر الأبيض المتوسط والمراكز التجارية القديمة في المستعمرات البعيدة: الصين، وتونكين، والكونغو، وغينيا، وغويانا... لقد اختفى بعضها ولكن لا يزال الكثير منها قائماً. ومع ذلك، كان على هذا التراث أن يواجه ثورة تمثلت بدخول الجزئيات الاصطناعية إلى عالم العطور، وهو تطور كبير في صنع العطور يثير التساؤل حول دور المنتجات الطبيعية في زجاجات العطر وأهميتها. ومنذ أربعين عاماً، لا يزال النقاش مستمراً حول مستقبل المكونات الطبيعية في صناعة العطور، من المتنبئين باقتراب اختفائها تقريباً إلى المؤكدين على أن التطور يسير دوماً باتجاه المزيد من الطبيعة والقليل من الكيمياء.

وفي كلتا الحالتين، من الواضح أن مصدري العطور اليوم منهمكين للغاية في تحديد المصدر. ومنذ حوالي عشر سنوات، يشكّل مصير قطاعات المكوّنات الطبيعية موضوعاً يطرح نفسه على مصنعي العطور. ولذلك يُطلب من المشترين أن يتطوروا بدورهم، وأن يكونوا أيضاً إلى حدّ ما مهندسين زراعتين، ومتعاونين مع المنظمات غير الحكومية، وعلماء اجتماع بعض الشيء. وبسبب ضغط المستهلكين بشكل أساسي، اكتشفت العلامات التجارية أهمية المصدر وتنوعه وتعقيده وانتمائه إلى عالم المزارعين في الحزام شبه الاستوائي... ولكنها تخشى أن يرتبط اسمها بممارسات التوريد التي تفتقر إلى الشفافية والأخلاق والسلوك المهني. وهذا الوعي مفيد ومرحب به، غير أنه يكون أحياناً في غير محله أو مبالغاً فيه، إذ أنّ القيم والاهتمامات السائدة في المجتمعات الريفية في البلدان النامية هي في أغلب الأحيان بعيدة كل البعد عن رؤية الصناعة الغربية.

إلا أن هناك أسباباً تدعو العاملين في مجال صناعة العطور إلى التفاؤل. لقد ألغى العالم الجديد المسافات والحواجز إلى حد كبير، مما أتاح للمنتجين والمستخدمين إمكانية التعرف والتحدث فيما بينهم. إن جميع المسؤولين عن تسويق العلامات التجارية وصانعي العطور وعملاءهم يطمحون إلى زيارة مصادر العطور. الكل يحلم باكتشاف البرغموت في كالابريا، وزهر البرتقال في المغرب، والياسمين في جنوب الهند أو مصر، والقريضة في الأندلس، والباتشولي في إندونيسيا. ومن أجل استقبالهم، أصبح المنتجون في العالم أكثر كفاءة وانفتاحاً وشفافية. فالمهنة تجتذب، والمهنة تستمر في الإبهار. لقد انضم رواد أعمال شباب ممن يعلنون التزامهم بالقيم الأخلاقية إلى أجيال جديدة من الشركات

العائلية، تغرس جذورها عميقاً في تراث يشعر الجميع بأنه مُغرق في القدم. إن موهبة المنتجين الجدد للمواد الطبيعية تجعلهم جديرين بسحر المنتجات التي يعملون بها. النسيج قديم جداً، لكنّ ألوان آخر الخيوط المنسوجة نابضة بالحياة. المصادر حية وهشة في آن واحد، إذ يمكن أن يؤدي تغير المناخ، وخاصة النقص في الموارد المائية، إلى تعطيل العديد من القطاعات في السنوات القادمة. لكن السؤال الأكبر هو بلا شك القيمة التي تريد الصناعة أن تعطيها للمنتجات الطبيعية في لوحة العطور. لن يوافق أبناء مزارعي البلسم في البيرو والسلفادور على تسلق الأشجار بشعلة مضاعة خلف ظهورهم، كما فعل آباؤهم طوال حياتهم، إلا إذا كان سعر كيلو البلسم يعكس الاعتراف بالعمل الاستثنائي الذي يقومون به. وتتحمل الصناعة مسؤولية كبيرة بالنسبة لمستقبل هذه القطاعات. مسؤولية يتحملها المصدرون وممثلوهم في حقول الورد في بلغاريا وصحاري البخور في أرض الصومال أو غابة الغايك في باراغواي. مصدرّ عطور. يُقال أحياناً إنها أجمل مهنة في العالم. مهنة ربما لا يزال مستقبلها بحاجة إلى الاختراع. أن تكون وسيطاً بين قيود الشركات الكبرى الاقتصادية ومصير العاملات في حضّادات الفانيليا في مدغشقر: إنها لفجوة كبيرة وصعبة، لكنها انخراط فريد من نوعه في واقع التنوع البيولوجي العطري والبشري لكوكب الأرض... الجو جميل جداً عند مصادر عطور العالم.



أحد المزارعين في مزرعة
بمنطقة الشفا بالطائف في
أوقات الصباح الباكر وقت
القطف



شجرة الورد حيث الإنتاج يوميا
خلال الموسم



لقطة جوية نت احج مزارع
الورد الطائفي بالشفا



23
عبدالرحمن الدغيلبي
الورد الطائفي
الطائف، المملكة العربية
السعودية
2024-2022

رجل كبير في السن بين
محصول الورد الطائفي



فصل بتلات الورد عن
الكأس وهي طريقة عند أحد
المصانع في طبخ البتلات
لوحدها وينتج عنها عطر الورد
الطائفي المخفف

العود عطر من الجنة

داميان شوارتز
مدير شركة جلاي آغار وود، منتج عود

إن العود الذي يعطر المنازل والمساجد، موجود في كل مكان في العالم العربي الإسلامي، حيث يستحضر رائحة من الجنة. والعود، هذا الخشب النادر والتمين، يأتي من شجرة تنمو في جنوب شرق آسيا، دون أن تكون ذات جودة عطرية عندما تكون خالية من الأمراض. تتعرض هذه الشجرة أحياناً لهجوم من الفطريات، وللدفاع عن نفسها، تقوم بإفراز مادة صمغية عطرية تُحوّل الخشب إلى عود، مما يؤثر على لونه وكثافته خلال فترة تحوّل تمتد على مدى سنوات. وكلما زادت وفرة الصمغ، أصبح الخشب داكناً، إلى حد أن يصبح أسود كالفحم؛ وكلما زادت كثافته، زاد ثقله، حتى لا يعود يطفو على الماء، بل يغرق كالجر. أمّا جودته العطرية فتزداد بالطبع كلما ازداد محتوى الراتنج. لقد عظرت أعواد العود المنطقة العربية منذ فترة بعيدة يصعب تحديدها إذ يلّفها ضباب التاريخ. وخلال هذه العلاقة الطويلة، تطوّر مجرّد الافتتان، ليصبح لدى العرب شغف بالعود.

حوالي عام 50، في أقدم وصف للعود، ذكر ديوسقوريدس، الذي أطلق عليه اسم "أغالوشون"، أنه تم نقله من الهند عبر شبه الجزيرة العربية إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط. ومن المؤكد أن أصحاب القوافل العربية كانوا هم من نقله، حيث لعبوا دور الوسيط في تجارة العود، كما يمكننا التخمين بالفعل من خلال نصوص يعود تاريخها إلى الألفية الأولى قبل الميلاد. كما يمكننا التخمين بالفعل من خلال التوراة التي يعود تاريخها إلى الألفية الأولى قبل الميلاد. في الواقع، يشتقّ الأغالوشون من *ak*، الذي يشير إلى العود باللغة التاميلية.

حتى نهاية العصور القديمة، لم يربط أي مصدر العرب بالعود. فقد أطلق عليه اسم "الصبار" في المصادر اليونانية واللاتينية منذ القرن الأول الميلادي، وتلاحظ أحياناً وجوده في الإمبراطورية الرومانية حتى القرن السادس الميلادي، وهي الفترة التي تنتمي إليها أقدم آثار الأدب العربي التي وصلت إلينا: شعر عصر ما قبل الإسلام.

وفي روائع هذا الأدب، مثل أشعار امرؤ القيس، أو المرقش الأصغر، يتم الاحتفاء بالعود إلى جانب أنبل الروائح العطرية وأتمنها، تحت مسميات مختلفة،

24
ديوسقوريدس
الترجمة العربية لكتاب
"المادة الطبية" De Materia
Medica
منممة تمثل خشب العود
إسبانيا
نسخة مؤرخة القرن الثاني
عشر





للحصول على العود الصافي - الراتنج العطري النقي بدون الخشب الذي يلتصق به - طوّر الهنود ومن ثم العرب عملية تقطيره إلى زيت أساسي، فبات من الممكن الاستمتاع بعطره دون أن تختلط به رائحة الخشب. وقد وُضع سلم هرمي للجودة منذ البداية. وهو قد يختلف قليلاً حسب المؤلفين، ولكنه نادراً ما يتغير على مر العصور. هناك إجماع على أن أفضل العود هو الأسود الداكن والذي يغرق في الماء مثل الحجر، بغض النظر عن منشئه الأصلي. العود الهندي هو العود بامتياز، ويتفوق على سائر الأنواع بسبب رائحته الحارة، ومرارته الخفيفة، وأيضاً لأن رائحته تلتصق بالملابس لفترة أطول من الأصناف الأخرى. يحظى العود الكمبودي والفيتنامي بشعبية كبيرة، لكن مؤلفين مثل ابن سعيد يذكرون أن أفضل القطع من هذه الأصناف هي تلك المخصصة لإمبراطور الصين. ثم يليها العود الماليزي والإندونيسي والصيني، وهي أصناف اعتُبرت لفترة طويلة قليلة الأهمية (ليفي، 1961؛ التميمي، 2014). كان يتم استيراد كميات كبيرة جداً من العود سنوياً إلى موانئ العراق واليمن ومصر حتى القرن السادس عشر الميلادي، ومن هناك يتم توزيعها في جميع أنحاء البلاد الإسلامية. استُخدم العود في العديد من المجالات مثل صناعة الأثاث الفخم والسحر والطب البيطري وغيرها الكثير، ولكن بشكل أساسي في الطب وصناعة العطور.

أهمها العلوة، والتي تأتي من الصبّار aloe. ومن المسّميات الأخرى "القُطر" الذي ولّد الفعل "قَطَر" أي "طَيّب الملابس بالعود"، وكذلك اسم "المقطرة"، أي "مبخرة العود"، مما يدل على مدى تغلغل هذا الخشب المعطّر في المجتمع العربي. وقد برز العود بشكل خاص في القرن التالي كعطر من العطور التي عظّمها الإسلام.

مع قيام الخلافة الإسلامية، وخاصة منذ تأسيس الدولة العباسية عام 750م، ازداد الطلب على العود واستخدامه بشكل مذهل بعد إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع الهند؛ وقد كانت المبادلات بين الخلفاء وحكام الممالك الهندية المختلفة مصحوبة بالهدايا، بما في ذلك أفضل أنواع العود.

تشير العديد من المصادر (انظر على سبيل المثال الطبري، 1928؛ الحجاوي القدومي، 1996) إلى التقدير الكبير الذي كان يحظى به العود لدى أمراء البلاط الذين استخدموه بشكل منتظم وبوفرة. فهو أكثر من مجرد عطر بسيط، بل حجر كريم محفوظ في كنوز الخلفاء والوزراء، الذين سعوا جميعاً للحصول على قطع نادرة منه. وهكذا، في القرن التاسع الميلادي، وكما يقول الجاحظ "من الهند جاء العود، هدية الملوك التي لا تضاهى" (كولفيل، 2002، ص. 49).

ومع ذلك، كان البحارة العرب يسافرون إلى كانتون في الصين منذ القرن السادس الميلادي للبحث عن ثروات آسيا، بما في ذلك العود. ومع أن الطريق البحري كان مباشراً، إلا أن رحلة الذهب والإياب كانت تستغرق عامين، وكان للقراصنة والعواصف وحوادث غرق السفن تأثير كبير على سعر العود وتوافره. وفي القرن التالي، انتقل مركز التجارة من الصين إلى ماليزيا، مما أدى إلى خفض مدة الرحلة إلى النصف، وسمح بتطور كبير لهذه التجارة. كان التجار يجلبون السلع الثمينة من كانتون ولكن أيضاً من محطات التوقف على طول هذه الطريق. وقد أتاح لهم ذلك الوصول إلى مصادر جديدة للعود، وأهمها ماليزيا وإندونيسيا وكمبوديا وفيتنام والصين. ومن اللافت للنظر أن كلاً من هذه الأماكن كان ينتج صنفة الخاص من العود، مع ميزة عطرية خاصة تختلف عن العود الهندي.

إنّ الطبيعة الشقية للعود غنية للغاية، وهي الأكثر تعقيداً في الوقت الحاضر. عوامل كثيرة تؤثر في العود، مثل مكان نشأته، وعمره، والجزء المستخدم من الشجرة، ودرجة إصابتها بالراتنجات العطرية، ومدة الإصابة، وما إلى ذلك. لذلك، تحكي كل قطعة من الخشب قصتها من خلال رائحتها، ولا توجد اثنتين متطابقتين. ومع ذلك، هناك سمة مميزة مشتركة لجميع أصناف العود. على المستوى العطري، رائحة العود ترابية تميل إلى الحلاوة، وحتى معسّلة، مع لمسات فانيلية وحيوانية وكذلك تبغية. وعلى المستوى العاطفي، تولّد رائحة العود الشعور بالبهجة والامتلاء وتطرد الاكتئاب، وتحقق الانسجام بين الجسم والعقل. يتميز كل صنف عن الآخر بفوارق دقيقة مميزة: ببساطة، وبشكل عام، العود الهندي حار، الماليزي والإندونيسي زهريّان، الكمبودي والفيتنامي فاكهيان والصيني كافوري بلطف.

في الواقع، ومثل جميع التوابل، تُنسب إلى العود مزايا طبية. ومن المعروف أنه يؤثر على الجهاز الهضمي عندما يتم تناوله بعد غلبه ويعطي نفساً طيباً عند مضغه. بالإضافة إلى ذلك، يُعتقد أنه يهدئ القلب ويطرد الاكتئاب. كما يُستخدم في عمليات التبخير لتنقية الهواء، خاصة عند انتشار الأوبئة.

ولكن يُستفاد من مزايا العود بالأخص في مجال صناعة العطور. إنه مع المسك والعنبر والكافور والزعفران، أحد المواد الخمس الرئيسية، كما وصفها يوحنا بن ماسويه في القرن الحادي عشر الميلادي في كتابه "النوادير الطبية" (ليفي، 1961). ونتيجة لذلك، فهو بمثابة مكوّن أساسي في جميع أنواع العطور المركبة: المراهم، والمساحيق، والزيوت والمياه المعطرة، والحبوب المعطرة للأنفاس، ومستحضرات الشعر، وعطور الملابس، وما إلى ذلك.

ومع ذلك، يُستخدم العود بشكل أساسي كبخور ويتم عادة حرق قطعه نقيه. ويتم تنكيها أحياناً عن طريق إحداث ثقوب في الخشب مليئة بالعطريات الأخرى، أو عن طريق نقعها في العنبر أو المسك، وهو ما يسمى العود المعطر. وهو أيضاً أحد مكونات البخور المركب، بما في ذلك الند الذي يُعدّ من أرقى أنواع البخور ويصنع من العود والمسك والعنبر. ظهر العود في أدب القرن العاشر الميلادي، لكن التميمي يذكر تركيبة تعود للقرن التاسع، وهي الأقدم، أُعدت للخليفة المستعين بالله (862-866م) (التميمي، 2014).

تتغير الأذواق بمرور الوقت، لكن جاذبية هذه المنتجات تبقى كما هي. في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، قدم النويري (1279-1332م) العديد من الوصفات المأخوذة من الأعمال الرئيسية السابقة، والتي مكّنت من متابعة التطور الحاصل في المجتمع (النويري، 1923-97).

يذكر النويري وصفة من القرن العاشر: "لتحضير الند الذي يستخدمه الجميع بشكل عام، نأخذ خمسين مثقالاً من أجود أنواع العود، ومقدار مماثل من المسك التبي، ومئة مثقال من عنبر شحر، وثلاثة من الكافور، ويتم عجن كل هذه المكونات. من هذا الأخير، الند، يمكننا أن نصنع قضباناً كذلك، ندعها تجف ثم نجعلها". في زمن النويري، لم تعد هذه الوصفة واحدة من أنواع الند الثلاثة الأكثر استخداماً، وهي الند الثلاثي، الأفضل والأكثر عطراً، والذي يحتوي على كمية متساوية من العود والعنبر الرمادي والمسك، يليه صنفان أقل جودة، الند المتساوي والمتناسب جيداً، ثم الند السوقي.

ليست العطور حكرًا على النخبة في العالم العربي. في كتاب "كيمياء العطر والتصعيدات" الذي كُتب في القرن التاسع الميلادي، يقدم الكندي (801-873م) ثلاث صيغ لكل وصفة حسب الفئة الاجتماعية. ولهذا الغرض، يتم استبدال المواد غالية الثمن، بمواد أقل فخامة وأقل تكلفة لكنها تنتج العبق العطري نفسه تقريباً. تم العثور على العديد من هذه الوصفات في كتب الطبخ، ذلك أن العطور والبخور تخلق أجواء ممتعة في حفلات الاستقبال. وهكذا، لتحضير العود المعطر، بالإضافة إلى الوصفات التي تقضي بإضافة العنبر والمسك، هناك وصفات أخرى أكثر بساطة تنصح بنقع قطعة العود في ماء الورد.

تنتهي حفلات الاستقبال عادة بطقوس ضيافة لا تزال موجودة حتى اليوم، وتقضي بتقديم الحلويات للضيوف، قبل رشهم بماء الورد وتبخيرهم بالعود. وغالباً ما يصف هذا التقليد الرخالة الأوروبيين الذين كانوا يجدونه لافتاً.

ذكر الفارس جان دي لا روك (1661-1745) محرر كتاب رحلة قام بها لوران دارفيو سنة 1717، يحمل عنوان "رحلة بأمر من الملك إلى فلسطين لدى الأمير الأكبر زعيم أمراء الصحراء العرب" (دارفيو، 1718) أن هذه العادة تحظى باحترام الرجال والنساء على السواء.

يروى دارفيو الذي كان شاهداً أثناء وجوده في معسكر الأمير، على زيارة أميرة عربية لزوجة الأمير، فيكتب: "بعد أن استمتعت بالقهوة والتبغ والشربات، ورُش على وجهها وشعرها ماء العطر، تمّ تعطيرها بدخان العود، الذي كان يشتعل في مجمره عطر، تشبه تقريباً المبخار التي نعرفها، وكان الدخان يلفّ الحجاب الذي وضعوه على رأسها لهذه الغاية".

لا تزال هذه العادة، التي ذكرها ديوسقوريدس قديماً، قائمة حتى يومنا هذا. فعبر الزمان والمكان، يرافق العود العرب بشكل دائم، ويغمرهم برائحته السماوية الحلوة.



ميجناني، المقيم في سوريا، إلى أنه في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، كان هناك حاجة لأربعة آلاف بغل لنقل الإنتاج السنوي للمدينة... وكان ماء الورد يُباع في دمشق في القرن الخامس عشر الميلادي من قبل تجار متخصصين (يُطلق على تاجرهم اسم ماوردي)، وكانت محلاتهم تقع في أكثر أسواق المدينة ازدحاماً، ولا سيما عند أبواب الجامع الأموي وأماكن أخرى، بالقرب من محلات المواد الغذائية. وكانت الزيوت وبراعم الورد

استُخدم الورد الجوري لإنتاج ماء الزهر عن طريق التقطير باستخدام عدة أنابيب مثبتة على ركائز من حجر البناء. وفي القرن الرابع عشر الميلادي، كان إنتاج ماء الورد يتم على نطاق واسع لأن الجغرافي الدمشقي (المتوفى عام 1327م) وصف أكوام الورد المجفف في شوارع المزة حيث يعطر الهواء بانتظار معالجته، كما ذكر تصدير هذا المنتج إلى الحجاز والحيشة واليمن ومناطق أبعد، وصولاً إلى الهند والصين. ويشير التاجر السبيني بلترامو

وردة دمشق

إيلودي فيغورو

محاضرة - باحثة في جامعة لومبير ليون 2، المركز الجامعي للتاريخ وعلم الآثار في العصور الوسطى

ويمكن استخدامه أثناء الاحتفالات أو المناسبات الدينية. وفي مكة المكرمة، يتم كل عام تنظيف الكعبة الشريفة بماء الورد. وعلى الشاكلة نفسها، أمر صلاح الدين بعد فتح القدس عام 1187م، بغسل قبة الصخرة بماء الورد قبل إعادة تكريسها للعبادة الإسلامية. كان ماء الورد حينها يصنّع في إيران وبلاد الرافدين وسوريا، وكانت الزهرة المستخدمة في أغلب الأحيان هي الوردية الجورية، ومصدرها مدينة غور في إيران. وبحسب المصادر النصية العربية، كانت هذه الزهرة ذات اللون الأحمر أو الورد الداكن والعطرة جداً تُزرع في منطقة دمشق، في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين؛ كما كان يُزرع نوع من الورد الأبيض (نسرين)، وهو من أصل بري. واشتهرت قرية المزة في الغوطة، غربي المدينة مباشرة، وقرية الزيداني الواقعة في سلسلة الجبال المطلة عليها، بجودة ورودهما. وقد

في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى، كان الورد مطلوباً بشدة لرائحته بالطبع، ولكن أيضاً لفضائله الطبية وطعمه. وقد استُخدم على شكل زيت أو ماء الورد، لعلاج الأعراض والأمراض المختلفة (الصداع النصفي، وآلام المعدة، وأمراض العين والرئة) إما بتناوله أو بوضعه على المكان المصاب. كان ماء الورد موضع تقدير لخصائصه المنسّطة والمزيلة للرائحة والمساعدة على شدّ البشرة، وهو يُستخدم في مستحضرات التجميل والعناية بالنظافة. وعلاوة على ذلك، يدخل ماء الورد في العديد من وصفات الحلويات، والأشربة، والعصائر، كما يُضاف في كثير من الأحيان أثناء تحضير الأطباق المالحة. كان ماء الورد منتشرًا على نطاق واسع في بيوت الأثرياء بفضل المرشحات (الققمم)، سواء لتعطير الجو أو أيدي الضيوف أثناء وجبات الطعام، أو لجلب البركة إلى المنزل. والورد ثمين، وله أيضاً قيمة تطهيرية



عودتهما من معارك حربية في القرن الثالث عشر الميلادي، فإن هذا الصنف من الزهور الوردية أو الحمراء والعتبر المرکز، لم يُعرف فعلياً بهذا الاسم إلا في منتصف القرن السادس عشر الميلادي. وتحمل هذه الوردة اسم المدينة التي تمكن فيها الرحالة والعلماء في القرنين الرابع عشر والخامس عشر من التعرف على الورد الجوري، الذي قد يكون ربما أصل الوردة الدمشقية الهجينة.

الدمشقي المجففة تباع، كما هو الحال اليوم، في أكشاك جنوب الجامع الأموي وسوق الصاغة. لم تُعرف تقنية التقطير في الغرب حتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، قبل أن تصبح متاحة على نطاق واسع في القرن الذي يليه، وهي الفترة التي تغلغل فيها ماء الورد في دستور الأدوية والمطبخ الأوروبي بينما بدأ تحضيره من الزهور المحلية. وإذا كان التقليد الشعبي ينسب إدخال الورد الدمشقي في فرنسا إلى الكونت روبر دي بري أو إلى كونت شامبانيا تيبو الرابع عند



العنبر والأساطير حول أصله

تيري بوكيه

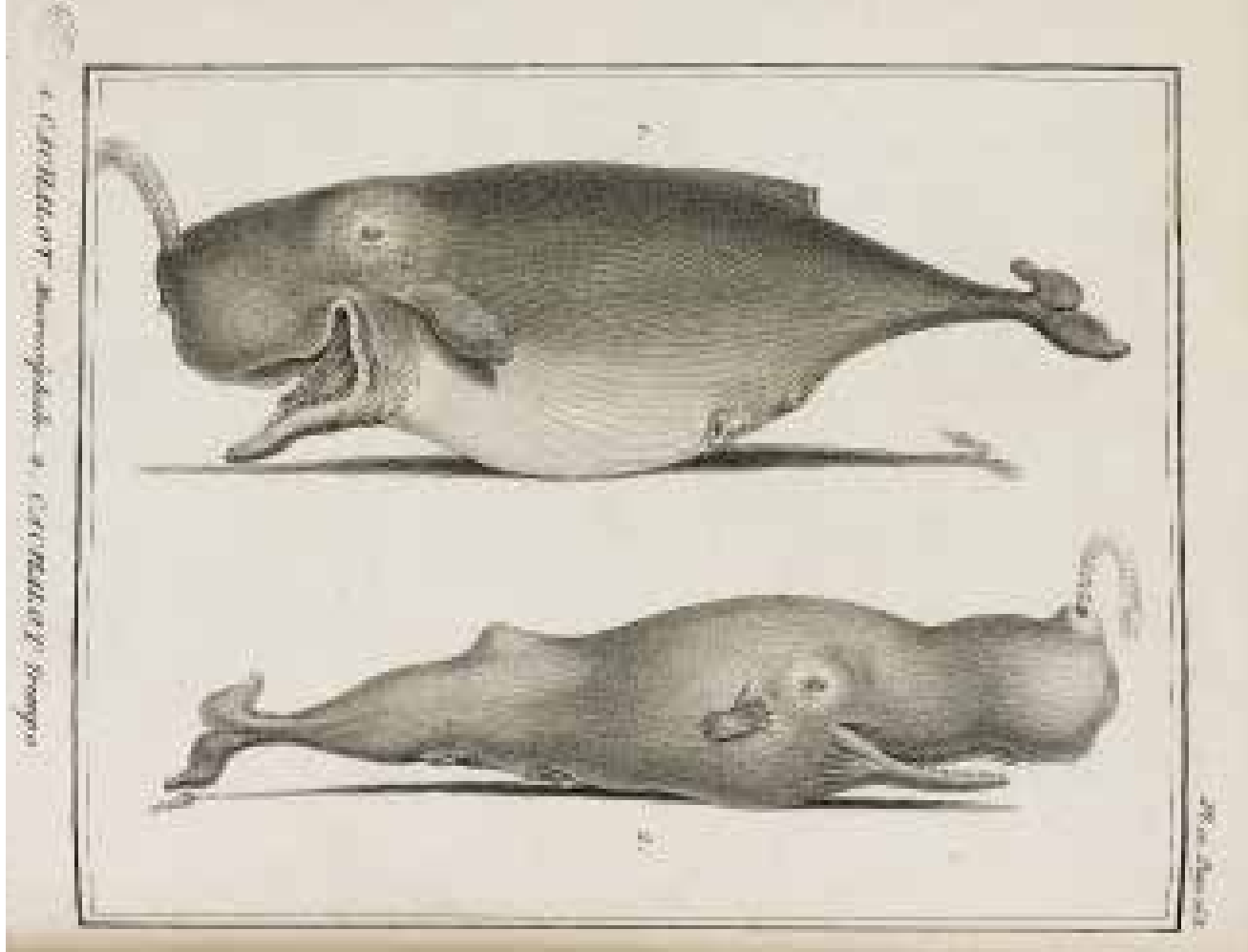
مهندس أبحاث في المركز الوطني الفرنسي للبحوث العلمية، جامعة كاين نورماندي

كان العنبر أو عنبر الحوت أحد المواد العظمية الخمس الرئيسية في بلاد الإسلام، مع المسك والصبار والكافور والزعفران. وقد استُخدم كذلك كعلاج طبي. ولا يزال يُستخدم لحدّ اليوم في صناعة العطور. لم يتم تفسير طبيعته علمياً حتى القرن الثامن عشر الميلادي: فالعنبر عبارة عن تجمّع مرضي في أمعاء الحوت أو في معدته، ناجم عن سوء هضم مناقير الحيتان (كلارك، 2006؛ دانييل، 1982).

لفترة طويلة في بلاد الإسلام، كان العنبر يُجمع على شواطئ المحيط الهندي أو المحيط الأطلسي بعد أن تقذفه مياه البحر. وللعثور عليه، كان يتم اللجوء أحياناً إلى الجمال، التي ترصد الرائحة، فتتصرف تماماً ككلاب الكمامة، حسب ما ذكر المسعودي (حوالي 900-956م) في كتابه "مروج الذهب". ومنذ القرن التاسع الميلادي، نجد في المراجع العربية العائدة للعصور الوسطى (كتب الطب والجغرافيا والتاريخ الطبيعي) فرضيتين رئيسيتين حول أصله.

تعتبر الفرضية الأولى أن العنبر هو نبات أو معدن أو نوع من الفطر أو القار [البيتومين]، يوجد في المحيط حيث يتكون في قاع المياه؛

وقد ساد الاعتقاد أيضاً أنه زبد البحر المتصلب. وتتلق الثانية بعلم الحيوان، فتفترض أنه نوع من الإفرازات التي تخرج من الحوت أو من السمك على شكل براز. ويعتقد المؤلفون العرب أن هذا الحيوان قد ابتلع عنبراً نباتياً أو معدنياً أنتجه البحر، فأصيب بالمرض والتسقم. عرف صيادو الحيتانيات، خاصة في المحيط الهندي، كيفية البحث عن قطع العنبر في بطونها حتى يتمكنوا من إعادة بيعها بسعر مرتفع. لكن هذا العنبر كان يعتبر أقل جودة لاستخدامه في صناعة العطور من ذلك الموجود على الشواطئ. في الواقع، من خلال تجفيفه في الهواء الطلق، يأخذ العنبر لوناً فاتحاً وتتبعث منه روائح حلوة. وعلى النقيض من ذلك، فإن العنبر المستخرج حديثاً من الحوت يكون لونه أسود، وشمعياً، وله رائحة كريهة. وهكذا أخذ العالم الإسلامي في الاعتبار عدة أنواع من العنبر وصنّفها حسب أصلها الجغرافي كما نرى عند النويري (1279-1333م)، أو حسب مكوناتها الأساسية المفترض ولونها كما يذكر ابن ماسويه (777-857م). في أسفل السلم الهرمي يأتي العنبر السمكي، الذي أخذ اسمه من الأسماك، وهو غالباً أسود اللون، له رائحة كريهة. ويتقدم تصنيف



العنبر بقدر ما يتحول لونه إلى الرمادي والأبيض، وهذا منطقي، لأن اللون يعبر عن نضج العنبر، ويتوافق بالتالي مع تكوّن الروائح الزكية والمعقدة التي تفوح منه.

هناك أسطورة مذهلة بشكل لافت تشير إلى وجود مناقير الطيور أو مخالبها في العنبر. ويوضح الجاحظ (حوالي 776-867م) في "كتاب الحيوان" أن العنبر يسقم الحيتان كما يسمم الطيور التي تموت حين تغرس مناقيرها أو مخالبها في قطع من العنبر تظل عالقة بها. وقد وضع النويري هذا النوع من العنبر على جده، وأطلق عليه اسم "المناقيري". وقد تبين لاحقاً أن هذه الأشياء التي تم الخلط بينها وبين المخالب أو المناقير هي خرطوم الحبار، وهو الذي يسبب

الاضطرابات الهضمية لدى حوت العنبر - الأمر الذي لم يفهمه أحد في ذلك الوقت، على الرغم من كثرة المعاینات التي تم إجراؤها على العنبر. كان المؤلفون العرب في العصور الوسطى يفضلون دائماً فرضية الأصل النباتي. في الواقع، كان من الصعب ربط مادة عالية الجودة ببطن سمكة وبرازها، حتى ولو كانت حوتاً. من الناحية الثقافية، ترتبط الأسماك بالروائح الكريهة: فالعنبر الذي يمكن استخراجه منها لا يمثل سوى النوع الأقل جودة، مادة متعفنة متحللة وغير صالحة للاستخدام في صناعة العطور، إلا المقلدة. ولذلك كان من الأفضل الترويج للأصل النباتي للعنبر، ومقارنته بالفطر أو الكمامة، التي ترتبط بشكل طبيعي بروائح أكثر عذوبة.

الجزء الثاني
التطيب بالعطر



صناعة العطور التقليدية

ستيرين لو ماغير-جيلون
عالمة آثار في أركايوس، ومحاضرة في المعهد الكاثوليكي بباريس

التقنيات الأولى في صناعة العطور

الطريقة الأولى لصنع العطور هي التثريب. وهو يتم من خلال نقع المواد العطرية (الزهور، ورقائق الخشب، وما إلى ذلك) في الدهون، وزيت الزيتون عموماً، أو في بعض الحالات، زيت اللبان المأخوذ من شجرة المورينغا. وبحسب ديوسقوريدس (حوالي 20-90م)، تنمو هذه الشجرة في إثيوبيا ومصر وشمال غرب المملكة العربية السعودية وفلسطين. واليوم، لا تزال شجرة المورينغا تُزرع لزيته في منطقة العلا، في المملكة العربية السعودية.

تم العثور على أقدم الكتابات التي تصف صناعة العطور في بلاد الرافدين. كشفت التنقيبات الأثرية التي تمت في ماري (سوريا) عن عدة ألواح عُثر عليها في "مطابخ" القصر، مكتوبة بالخط المسماري، تصف طرق صناعة العطور. وأقدم طريقة نقع هي تلك التي كانت تتم على البارد في زيت السمسم، الأمر الذي يستغرق الكثير من الوقت. من هنا، بدءاً من القرن الثامن عشر قبل الميلاد طوّر العطارون تقنية النقع الساخن، والتي تتطلب من عشرة إلى خمسة عشر يوماً فقط من التحضير. وجاء في رسالة مرسلّة إلى مملكة ماري من العاصمة شوبات إنليل، وصف للطريقة وللمواد المستخدمة: "قل لسيدي: هذا ما يقوله إيل-عاسو عبدك. تم تصنيع زيت عالي الجودة في أجزخانات شوبات-إنليل [x] لتر من السرو، [50 + x] لتراً من الآس، [50 + x] لتراً من خشب البقس، + 50 لتراً من القصب العطري. أتمنى ألا يعوق سيدي من يتوجب عليه أن يحمل هذه الأخشاب العطرية إلى شوبات-إنليل!".

في آشور (العراق)، عاصمة بلاد آشور، هناك مجموعة من ست وصفات للعطور مكتوبة بالخط المسماري، يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، عُثر عليها خلال الحفريات الأثرية (إيلنج، 1950). وتوضح هذه الألواح وصفات أكثر تعقيداً من تلك الموجودة في ماري، حيث تجمع بين الاستخلاص الساخن والنقع. يتم طهي المواد العطرية في مادة سائلة، ثم تُترك لتبرد قبل الصب. ثم يُصقى المنتج قبل إعادة استخدامه. تتطلب هذه التقنية ما يصل إلى ثلاثة أشهر من التحضير. ومن بين المنتجات المستخدمة نجد الآس والأخشاب العطرية.

الصفحة 84

قارورة من الكريستال
الضخري بيضاوية الشكل
ذات زخارف بارزة
القاهرة (؟)، مصر
1050-975
لندن، متحف فيكتوريا وألبرت

30

لوحة سومري
الأمّة، العراق
2112-2004 ق.م.





أتقن المصريون تقنية استخلاص العطور. ويصوّر نقش الليرينون، الذي يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد والمحفوظ بقسم الآثار المصرية (متحف اللوفر) هذه الطريقة. في وسط النقش البارز، هناك امرأتان تقومان بعصر الزنابق، التي يتدفق مستخلصها إلى قارورة (أمفورة). على اليمين، امرأتان تحصدان الزنابق من المزرعة وتضعانها في السلال، بينما تقوم الثالثة بجمع باقة منها. تجلب خادمة رابعة الزنابق للعصر. وإلى اليسار، تقوم خادمة بسكب السائل الثمين في جرّة. وأخيراً، تقوم ثلاث من الحاملات بإحضار الزنابق ومستخلص الزنابق إلى المتوفى الذي أمر بنقش العتبة.

أما وصفات العطور الأكثر تفصيلاً فتأتي من "مختبر إدفو". يقع هذا المختبر في معبد حورس بإدفو، ويعود تاريخه إلى العصر الهلنستي (القرن الرابع قبل الميلاد - القرن الأول م). تقدم النقوش وصفات العطور وتذكر العديد من الروائح العطرية المستوردة من جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط ومن الجزيرة العربية.

تعود مهنة العطارة للإناث ويطلق على من تمارسها لقب "مرقيتو"، وترجم حرفياً بـ "خبيرة في العطور". حتى أننا نعرف اسم إحداهن، وهي تابوتي-بيلات-إيكالي (إسكوبار، 2023). إلا أن إعداد العطور أمر معقد ويتطلب تطويع فريق من "العطارات" بقيادة مديرة تشرف على قياس ومعالجة زيت العطور بكميات تصل إلى مئة لتر.

خلال الفترة النيو-آشورية (من القرن العاشر إلى السابع قبل الميلاد)، المرتبطة بتطور تجارة القوافل، تزايد استخدام الراتنجات القادمة من شبه الجزيرة العربية³¹ وبحسب النصوص فإن المبنى المخصص لصناعة العطور يسمى "بيت جليسي"، أي "بيت الزيت المعطر".

كان المصريون يتعطّرون بـ "مخاريط" تحتوي على الدهن المعطر توضع على رؤوسهم. وإذ يذوب الدهن ينتشر على الشعر ويعطّر الرأس. وتشهد على ذلك العديد من اللوحات الجدارية التي يعود تاريخها إلى العصر البرونزي.

³¹ نقش ليرينون (تحضير الزنبيق)
مصر
589-595 ق.م.



في هذه الورشة، يتم تحضير العطور للاستخدامات العلاجية والممارسات الطقوسية. كما يتم فيها تحضير الزيوت العطرية ومستحضرات التحنيط.

في البحر الأبيض المتوسط

تنتشر تقنيات استخلاص العطور في جميع أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد عُثر على ورش لصناعة العطور في اليونان وإيطاليا (برون، 2000). تم صنع العديد من الأواني الخزفية لاحتواء هذا المستخلص الثمين. وتتميز هذه الآنية بشكل كروي، ولها رقبة ضيقة لكي يتدفق السائل ببطء عبرها، وحتى يتم استخدامه بشكل مقتصد. قلّد الرومان هذا الشكل ولكنهم سرعان ما أنتجوا الآنية الزجاجية.

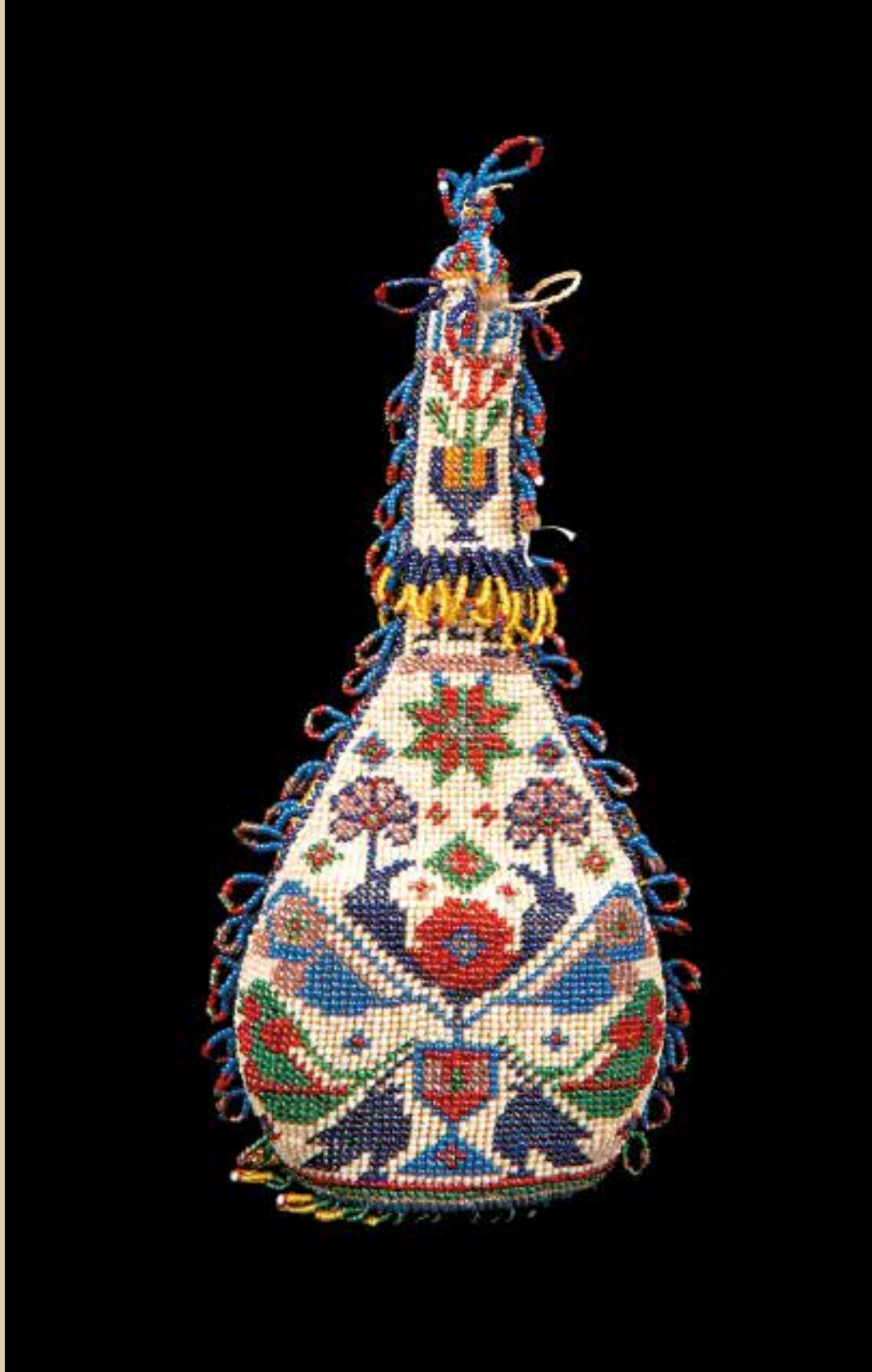
كانت روما تفرط في استخدام العطور، لدرجة أن بلينيوس الأكبر أعلن ثورته ضد العطور التي لا تدوم (23-79): "هذا هو هذا الشيء الفاخر، بل أكثر الأشياء التي لا لزوم لها. في الواقع، تنتقل اللآلئ والأحجار الكريمة إلى الورثة، وتدوم الأقمشة لفترة معينة، فيما تبخر العطور على الفور، وإذا جاز التعبير، إنها تموت عند ولادتها" (بلينيوس الأكبر، 1949). كانت المنتجات المستخدمة تأتي من البلدان الغربية ويتم نقلها عن طريق التجارة لمسافات طويلة. ونجد بخور اللبان، والقرفة الصينية، والقرفة، والقسط أو القشيط: كان العديد من هذه العطور يأتي من شبه الجزيرة العربية، أو الهند، أو آسيا الوسطى.

صناعة العطور في العصور الوسطى

بعد ظهور الإسلام، أصبحت العطور من المنتجات الرئيسية التي تباع في الجزيرة العربية.

تفضّل عدة مصادر نصية تركيبة العطور. ويذكر الطبيب والمترجم النسطوري يوحنا بن ماسويه (حوالي 777-857م) في مؤلفه "جواهر الطيب المفردة"، تسعاً وعشرين مادة. وفي معرض كلامه عن المواد العطرية، يشير المؤلف إلى أصلها، وإلى النوع الذي تنتمي إليه (المعدن أو النبات أو الحيوان) وإلى أنواعها المختلفة، وإلى حالات استعمالها في صناعة العطور. وهو يشير هنا إلى أن الأسفاط البيزنطية (أظفار الطيب)، وهي الغطاء الخيشومي للرخويات الموجودة في المحيط الهندي، تُستخدم في تركيب العطور كمنبّه أو مركز. ويقدم الكندي (المتوفى عام 870م) في مؤلفه "كتاب كيمياء العطر والتصعيدات" مئة وسبع وصفة للمنتجات العطرية (المراهم والزيوت وغيرها). كما يصف التميمي، وهو طبيب من القرن العاشر الميلادي، في كتابه "طيب العروس" العديد من وصفات العطور، مثل الند أو الراميك أو الغالية. وترتكز هذه المركبات على المادة الأساسية نفسها: العنبر والمسك وخشب الأغالوش (العود). ويشهد عمله أيضاً على تنوع المنتجات المصنوعة من المواد المعطرة وتنوع استخداماتها مثل الزيوت (الدهن) والمياه المعطرة والمقطرات (التصعيدات) وغيرها (دوسين، 2015، ص. 161).

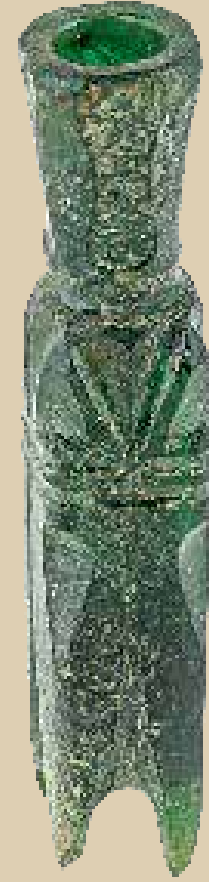




زجاجة للأدوية أو العطور
سوريا
باريس، متحف كيه برانلي -
جاك شيرك



35
قارورة عطر
مصر أو سوريا
القرن التاسع -
القرن الحادي عشر



34
زجاجة عطر
مصر
القرن التاسع

36
زجاجة عطر كروية مسطحة
مصر
القرنان العاشر والحادي عشر



أحدث العالم الإسلامي منذ القرن التاسع الميلادي ثورة في صناعة العطور التقليدية، مع تحسين تقنية التقطير، وخاصة تعميمها. في الواقع، لا يصح أن ينسب اختراع التقطير إلى علماء المسلمين. فقبل ذلك بوقت طويل، منذ الألفية الثانية قبل الميلاد تم إثبات تقنية التسامي، أي مرور الجسم من الحالة الصلبة إلى الحالة الغازية. وفي القرن الأول الميلادي، تمت ممارسة "التقطير الجاف" وقد وصفها ديوسقوريدس بشكل خاص. وهي تنطوي، في الواقع، على استخراج القطران النباتي (القار) عن طريق الانحلال الحراري للخشب أو اللحاء. في القرن الثالث أو الرابع الميلادي، طوّر زوسيم بانوبوليس أول جهاز للتقطير. وقد ترجم أعماله جابر بن حيان (المتوفى عام 815م تقريباً)، المعروف في أوروبا باسم "جابر". عمل بانوبوليس على تطوير طريقة التقطير من خلال إعداد جهاز من ثلاثة أجزاء: "الفرعة"، و"الأنبيق"، و"القبالة". وكلمة "أنبيق" تأتي من الكلمة اليونانية anbigk وستدخل في التاريخ لأنها أعطت اسمها لجهاز الأنبيق هذا، والذي سيصبح بالفرنسية alambic. والمبدأ هو التالي: يتم خلط المنتج العطري مع الماء ويتم تسخين الكل في القرعة، ثم يتبخر السائل ويبرد في الأنبيق حيث يتم فصل الماء ونواتج التقطير، ثم يتم استرجاع نواتج التقطير في القبالة.

عمل العديد من العلماء في الشرق على تحسين هذه العملية. ومن بينهم، يمكننا أن نذكر الكندي الذي ورد اسمه أعلاه، والرازي (المتوفى حوالي 935م) ومؤلفه "كتاب الأسرار". وتعتبر مساهمة ابن سينا مهمة جداً، خاصة في مجال صناعة العطور، لأنه سيطور التقطير بالبخار، مما جعل من الممكن فصل الماء عن نواتج التقطير وبالتالي الحصول على زيت أساسي أكثر تركيزاً. سمحت هذه الإنجازات بإنتاج المياه المعطرة بكميات كبيرة، كما وصفها الدمشقي (المتوفى عام 1327م) في كتابه "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر"، حيث يمثل الرسم التوضيحي جهازاً من عدة أنابيب تسمح بإنتاج ماء الورد بشكل متسلسل.

يتم إنتاج المياه العطرية الأكثر شعبية من أزهار الياسمين أو الورد أو البرتقال، ويمكن مزجها مع الزعفران أو العنبر أو المسك أو القرنفل أو حتى العود. انتقلت تقنية التقطير إلى أوروبا منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وهي فترة تميزت بحركة ترجمة الأعمال العربية إلى اللاتينية. أول ماء معطر كان "ماء ملكة المجر" الذي تم صنعه عام 1370م من زهور إكليل الجبل المقطرة.

في اللغة العربية، يُطلق على كل من العطار والصيدلي اسم "العطار"، مما يشير بوضوح إلى أي مدى كانت صناعة العطور والصيدلة، في عالم ما قبل الحداثة، تخصصين لا ينفصلان عن بعضهما البعض. في الواقع، لا يقتصر استعمال المياه المعطرة على الاستعمال التجميلي، بل تستخدم أيضاً لممّراتها العلاجية. على سبيل المثال، يُستخدَم ماء الورد كغسول للعين.

لا تزال المياه العطرية تنتج في العالمين العربي والإسلامي، وخاصة ماء الورد، ومن أشهر أنواعه: ورد دمشق (سوريا)، وورد الطائف (المملكة العربية السعودية) وورد الجبل الأخضر (سلطنة عمان). ويتم استخدام هذه الورد في صناعة العطور وكذلك للعناية بالبشرة وللطبخ.

وتشير لفظة العطار أيضاً إلى العطر نفسه، ويكون عبارة عن زيت عطري واحد أو أكثر ممزوج بمادة دهنية محايدة (الزيت). في العصور الوسطى، كان العطر يوضع في عبوات زجاجية صغيرة ذات أشكال مختلفة، وأكثرها شيوعاً تلك التي على شكل "ضرس" أو ذات الشكل الكروي، وهي أشكال مورثة عن الصناعات الرومانية والساسانية.

وحتى اليوم، لا يزال العطر ينتج في العالم العربي، وأكثره طلباً عطر العود، ويمكن أن تكلف قارورة صغيرة منه، ذات جودة عالية، عدة مئات من اليورو.

¹ الألواح محفوظة في متحف Vorderasiatisches الموجود كجناح في متحف Pergamonmuseum في برلين.

² انظر في هذا الكتلوج سترين لو ماغير-جيلون، "طرق تجارة العطور"، ص. 55.

³ ابن ماسويه كان مديراً لمستشفى بغداد الذي أسسه الخليفة هارون الرشيد.





الصفحة البيضاء

كريستوفر شيلدريك
صانع عطور

ماري دومينيك لوليفر
صحفية وكاتبة

هي أحياناً رائحة تنبثق من درج. درج تفوح منه رائحة مساحيق التجميل. شيء ما، حسي، مهديء، مفرح. أوراق الجيرانيوم [إبرة الراعي]، زنبق الوادي، بلسم الجاوي التايلاندي... إحساس بالسحر. كان للدرج روح، كان كائناً حياً، فراغاً مريحاً وقعت في حبه. عند وصولي إلى باريس، دخلت هذه الشقة المستأجرة المجردة من أي طابع شخصي، ولكن كان لدي فيها صديق، خزانة الحقام. لقد كتبتُ عبارة، وأطلقتُ على الخزانة اسم "درج المكياج".

الدرج هو استعارة حسية، صورة مجازية للإحساس الشمي: نتنفس جُريئة، نكتشف نغمة أولى، ثم ثانية، وبعدها نغمة أخرى... يتكشّف المشهد عن جوانبه، تنبعث ذكرى، وتتسرّب رسالة.

مهما بلغ بنا التحضّر، يبقى ردّ فعلنا الأول تجاه الروائح غريزياً. نحن مثل فراشات الليل التي تفرز الفيرومونات تجاه الذكور البعيدين، مثل غزال المسك في منغوليا الذي يبعث برسائله الشمية لجذب الإناث.

السفر

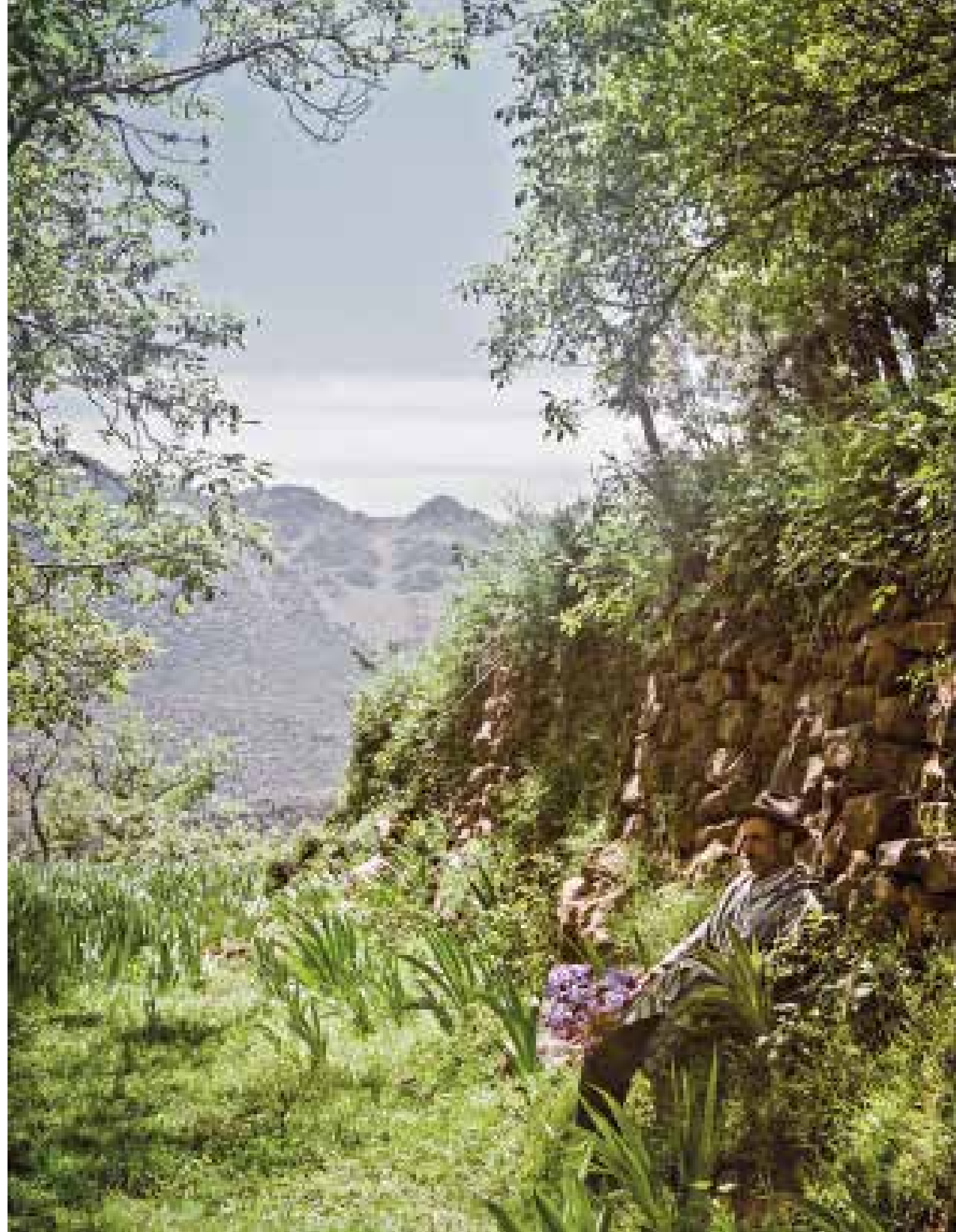
من الناحية اللغوية، تأتي كلمة "عطر" [parfum] من الكلمة اللاتينية per fumum، والتي تعني حرفياً "عبر الدخان". كانت الحضارات القديمة تستخدم الزيوت العطرية في الممارسات الروحية.

يولّد العطر عالماً فسيحاً. في أحد الأيام في اليابان، حضرت حفل كودو، "طريق الروائح"، حيث يتم حرق الأخشاب العطرية. اليابانيون "يصغون" إلى العطور، ولا "يشتقونها": وبعض النغمات بالكاد تكون مسموعة.

كل شيء يبدأ من ثراء الطبيعة ومعرفتها. الصيدلة والمحنّطون والمعالجون بالأعشاب وعلماء النبات ومبدعو الخلطات الجمالية التي نسميها "العطور"،

جميعهم يعرفون النباتات المفيدة والنباتات السامة. ربما لأنني وُلدت في مدرس، حيث أنشأ والدي مصنعاً لشركة بواك روبيرتس، فقد كنت دائماً حساساً تجاه الروائح. كان المصنع يستخرج من المنتجات المحلية، بهارات أو مواد أولية مثل الصندل. وكانت عائلتنا التي لها تاريخ طويل في الهند (والدتي ولدت في كراتشي)،

41
دينيس دايو
الحصاد في مرتفعات الأطلس
المتوسط
الأطلس المتوسط، المغرب
2015





في غراس، عشت حياة مقتصدة لأن والدي رفض أن يجاريني في أهوائي. مع صديق أمريكي، كنت أغسل ملابسني في المغسَل مع نساء القرية، بمياه الينابيع... عندما نكون في عمر الشباب، نكون متعطشين للاكتشاف، وبعد ذلك أردت التقرب من عائلتي في إنجلترا. كان عمري واحداً وعشرين عاماً. بعد قضاء ثلاث سنوات في مؤسسة شارابو، عدت إلى إنجلترا، إلى مؤسسة لوتيبه، في تشيسويك، وهي دار أخرى للمواد الخام، حيث أصبحت خبيراً في عالم الصابون. واصلت تدريبي في مؤسسة روبرتيه، وهي دار رائعة للمواد الخام في غراس حيث قمت بتركيب عطوري الأولى.

إثارة المشاعر

لكل مبتكر للعطور لوحة مكونات خاصة به، يثير من خلالها المشاعر. يبتكر هوية، أو توقيعاً، أو جرعة، أو شربة، أو زينة، أو قناعاً، أو جواً أو ببساطة "إحساساً برائحة طيبة". مستخلصات الحمضيات من الليمون والبرغموت واليوسفي، تبعث النشاط والشعور بالانتعاش وتمنح الحيوية عند الصباح. النباتات العطرية، التي تستحضر المناظر الطبيعية البرية، تدفع إلى المغامرة بأناقة لبقة وسليمة

43
ظافر الشهري
عسيري 3
عسير، المملكة العربية
السعودية
2021

مجموعة من فرقة تهامة أثناء
وقت الاستراحة في إحدى

تمضي الإجازات في المناطق الجبلية في كودايكانال، وهو منتج مشهور بغابات الأوكالبتوس. لقد قدّم لي العالم الذي نشأت فيه مجموعة واسعة من التجارب الشمية. كان والدي يُحضّر عتّات إلى المنزل، ولا تزال رائحة بعض الجزئيات الوردية عالقة في أنفي. يُقال إن شخصية المرء تتكوّن بالفعل في السابعة من عمره، وكنت في الواقع طفلاً فضولياً يسأل عن كل شيء. الروائح لا تزال هنا الآن، ومعها الأماكن لحظات معينة، لدرجة أنني أستطيع وصفها اليوم، رائحة أثاث المنزل، خشب الصندل أو خشب الساج، رائحة الحصاد، الأسماك بالجملة في شراشف كبيرة مطوية يحملها الباعة المتجولون، عبق الأسواق في الهواء الطلق. وبعد أن أمضيت عشر سنوات في المدارس الداخلية الإنجليزية حيث أحببت الفيزياء والرياضيات والفنون، أردت أن أدرس الهندسة المعمارية. لإتقان لغتي الفرنسية، ذهبت خلال فصل الصيف للتدرّب في مؤسسة شارابو، وهي دار للمواد الخام في مدينة غراس، حيث علمني صانع العطور ذو الاسم الرائع، السيد جورج كور [coeur، القلب]، صناعة العطور مقابل إعطائه دروساً في اللغة الإنجليزية. وفي نهاية فترة التدريب، أخبرني أنني صاحب "أنف شقام، وعرض عليّ تكرار التجربة. وبدافع الشغف، قبلت. أردت أن أعرف كل شيء. لذلك، عندما اكتشفت زهرة اليلانج، بحثت عن كيفية وصولها إلينا... لم أكن أكتفي بأي شيء، فدوّنت ملاحظات، وقرأت مؤلفات في علم النبات، كأعمال بلينيوس الأكبر وفلافيان جوزيف، وتيودور مونود، وخوسيه-ماري بيل... كوّنّت مجموعة من حوالي مئة ملاحظة أسميتها "ولادة الأعباق".







ومطمئنة وذكورية (وهي لا تستثني النساء!). الزهور تشجّ بالأنوثة (بدون أن تستثني الرجال). تنشر الوردة نضارة الصباح وبراءته، بينما يرافق الياسمين أسرار الليل بحسية مثيرة... الروائح التي أتلاعب بها هي خلاصات تاريخ وشعوب وبلدان، هي شربة سحرية.

السفر عبر الزمن

أركب العطور للدور الكبيرة المعروفة، مما يسمح لي باختيار أفضل خلاصات الأزهار، وأجود المواد الخام، مع احترام كبير لأخلاقيات المهنة. إنه لأمر مؤثر، المكونات المستعملة في صناعة العطور الحديثة الراقية - العصارة والجذور واللحاء - هي نفسها التي تغني بها الملك سليمان أمام ملكة سبأ: "أختي العروس، جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم. [...] ناردين وكركم قصب الذريرة وقرفة مع كل عود اللبان مر وعود مع كل أنفاس الأطياب". واليوم، لا أزال أستخدم عصارة اللبان والمر التي تأتي من عُمان واليمن وأثيوبيا والصومال، أو الناردين، الآتي من جبال الهيمالايا.

أحدث التقطير ثورة في صناعة العطور. وهو عبارة عن تقنية لفصل الجزء المتطاير العطري من النبات عن الجزء النباتي. لقد كان الكيميائي والعالم جابر بن حيان، المولود حوالي عام 721م، هو من طوّر هذه التقنية من خلال تحسين الإنبيق. ثم تطورت هذه التقنية لتعتمد التقطير بالبخار، الذي يظل اليوم وسيلة فعالة وواسعة الانتشار لاستخلاص المنتجات الطبيعية. تختلف نسبة جزيئات الرائحة في النباتات. على سبيل المثال، الوردة الدمشقية: إن الزهور التي يتم قطفها باليد، واحدة تلو أخرى في الصباح المنعش، يجب تقطيرها بسرعة لأنها عند تكديسها تتخمر. 700 كيلوغرام من زهور الورد تنتج لتراً واحداً من الزيت العطري، من هنا سعره المرتفع البالغ حوالي 7000 يورو للتر الواحد والذي يعكس الجهد الذي يتطلبه هذا العمل.

ينشأ فن العطور من التقاء الحرفية والتكنولوجيا والعلم. لا تتضمن لوحة العطور المكونات الطبيعية فقط. فقد طورت الكيمياء من خلاصات النباتات البسيطة مثل عشبة الليمون، مختلف أنواع الجزيئات، مثل السترال الذي له رائحة الليمون، والرودينول الذي له رائحة الورد، أو الميثيلينون الذي له رائحة زهور البنفسج. يتعامل العطار العادي مع ثلاثمئة إلى ثمانمئة مكوّن؛ أما الحبير فهو يعرف أكثر من ألف.

يتم التعامل مع المكونات النادرة والتمينة بحنان واحترام كبير. فخشب العود، المرغوب جداً في تايلاند ولاوس، هو مادة صمغية تنتجها شجرة الآجار (وتسمى أيضاً شجرة العود) عندما تصاب بالفطر، ويتم بيعه بالغرام، رائحته القطرانية غنية وغريبة وحسية. وبدورها تحظى مدقات الزعفران بتقدير كبير منذ 3500 عام، ويطلق عليه أحياناً اسم الذهب الأحمر.

استخدمت تركيبات العطور القديمة المكونات الحيوانية. كان العنبر الذي تقذفه حيتان العنبر على الشواطئ يُجمع لرائحته الجلدية الدافئة والمالحة. وكان

يتم البحث عن قط الزباد، وهو قط بري من إثيوبيا، وعن غزال المسك من سيبيريا، سعياً وراء المواد الصفراء التي تفرزها هذه الحيوانات لتحديد موقعها أو جذب شريكها.

لقد حدّد الكيميائيون الجزيئات الرئيسية لهذه المنتجات وصنّعوها. في عام 1905، تم تصنيع المسكون، وهو الجزيئة الرئيسية للمسك، من مصدر نباتي، هو عشبة الليمون. في عام 1950، تم تصنيع الأمبروكس، وهو الجزيئة الرئيسية للعنبر، من المريمية. وإذا كان صانعو العطور قد توقفوا عن استخدام المواد الحيوانية، فإنهم استبدلوها بشكل مقتصد بجزيئات اصطناعية لأنها باهظة الثمن.

الاختيار

الصفحة البيضاء نافذة تدعو للمغامرة وتفتح المجال أمام كل الاحتمالات، لترسم عليها مع مرور الوقت ملامح "أفضل عطر في العالم". بالطبع هذه فكرة ساذجة بعض الشيء وتنطوي على الكثير من التفاؤل! والصفحة البيضاء هي أيضاً حوار بين المبدع وصنيعته لأن عمل المبدع، بالرغم من حسن النوايا، قد يأتي بنتائج غير متوقعة. وهنا يطرح السؤال: "هل النتيجة مثيرة للاهتمام أم لا؟".

إن مفتاح العطر هو تناغم المكونات التي يتم اختيارها وتحديد مقدار كل منها بعناية، لتتوصّل إلى رائحة جديدة. فالفن كله يكمن في حسن الاختيار! إنها عملية تشبه خلط اللون الأزرق مع الأصفر للحصول على اللون الأخضر. وكمن من "الألوان الخضراء" يمكننا أن نبتكر؟ في صناعة العطور، الاحتمالات لا حصر لها، لدينا الآلاف من المكوّنات التي نطلق عليها اسم لوحة العطار.

أعمل مع سيرج لوتنس منذ عام 1990م. جميع العطور التي صنّعتها له ولدت من صفحة بيضاء. فالإلهام لا يأتي بنفس الطريقة أبداً. وأول عطر قمنا بتصميمه معاً كان "أنوثة الخشب" (Féminité du Bois) في عام 1992، تكريماً للرز الأطلس المهيّب. التقينا في مراكش حيث يعيش سيرج. ولكونه يحب محلات النجارة الصغيرة حيث يتم العمل على خشب الأرز وعقدة الأرز، في السوق، فقد كان يُحضر بعض النشارة إلى المأمونية ويضعها في الشمس على الشرفة. وبعد أن يذفأ، كان خشب الأرز ينضح برائحة راتنجية حلوة وبرتقالية قليلاً وعنبرية وحارة وحسّية. أراد سيرج أن يستخرج بعض "الأنوثة" من هذا الخشب، وهو مكون مخصص للعطور الرجالية. أما أنا فقد بدا لي أن رائحة خشب الأرز تشتمل على رائحة الكمون والهيل والقرفة واللادانوم الذي تفوح منه رائحة الدُغيّلات والصخور التي تجف تحت شمس البحر الأبيض المتوسط الحارقة، ولجعل هذه الرائحة أكثر أنوثة، لا بد من زهر البرتقال والورد والبنفسج الاصطناعي. هكذا وُلد عطر "أنوثة الخشب" وهو عطر مضيء ولطيف ومتطور. ومثل ممثل يثابر لإلتقان دور جديد، يسكنني العطر الذي أصنعه، فهو يشاركني حياتي، ويوقظني في الليل وأدوّن الأفكار التي تنتابني بوعي أو بغير وعي. حتى أنني أعطر أحياناً غرفة في منزلي للدخول في أجواء هذا العطر الجديد والتعرف إليه بشكل أفضل. إن صنع العطر هو رحلة

خيالية. وصانع العطور هو قائد الدقّة، لكنه يستدعي آراء الركاب لمعرفة ردود أفعالهم، وتخمين المشاعر التي تثيرها الفكرة التي تجول في رأسه. فاجأني سيرج لوتنس ذات مرة بالقول: "تخيل أنك تدخل منزلاً قديماً مغلقاً منذ سنوات... كل شيء أسود، والأثاث مغطى، وشعاع من الضوء يضرب الغبار العالق في الهواء. هذه هي الرائحة التي أريدها...". انتقيت الباتشولي وأوراق القرنفل للرائحة العفنة والداكنة؛ و C12 MNA لمظهره "المشحون بالطاقة" وتألقه العقريقي، والنعناع للمعانه المضيء، الفلفل الأسود لما يرتبط به من رائحة خشب وغبار... وأخيراً لمسمة من الجلد والبخور للغموض. "لقد نجحت!"، قالها سيرج، وهو يشمّ محاولتي الأولى. ثم أمضيت ستة أشهر في تدجين هذا العطر الذي أطلق عليه سيرج اسم L'Orpheline.

الإحساس برائحة الفن: تاريخ (شخصي) مختصر لفن الشمّ (العربي)

أشرف عثمان

مؤرخ فني، مُشرف معارض، كاتب، متخصص في فن الشمّ

الحقيقة هي أن للفنّ رائحة تننته. على الأقل في بعض أعمال المفضلة. وأحياناً تكون له رائحة طيبة جداً. غالباً ما كانت الفنون الجميلة عبر تاريخها فنوناً بصريةً. وهي لا تزال كذلك في معظمها. لكن القرن العشرين قلب الأمور رأساً على عقب وفتح الأبواب (المتاحف) أمام أشياء كثيرة، بما في ذلك الرائحة. وعلى الرغم من أنّ فنّ الشمّ يعود لأكثر من مئة عام، فإنه لا يزال غير معروف نسبياً، وكذلك تاريخه.

اقتحمت الرائحة عالم الفن في بداية القرن العشرين، وذلك بفضل التيارات الطليعية: من المستقبلية الإيطالية، حتى لو كان ذلك على مستوى المفهوم فقط، كما هو الحال مع كارلو كارا في عام 1913 وبيان الحركة المستقبلية، (عنوانه "رسم الأصوات والضوضاء والروائح")، وصولاً إلى السريالية الدادائية الفرنسية. في هذه الحركة الأخيرة، لم تكن هناك شخصية أكثر تأثيراً من شخصية مارسيل دوشامب، الذي استخدم الرائحة بشكل مفاهيمي في وقت مبكر من عام 1919 في قارورة Air de Paris التي حبس فيها القليل من هواء باريس، ثم زاد الرائحة إلى الفكرة فصنع العطر الجاهز Belle Haleine: Eau de Voilette الذي أنتج عام 1921 بالتعاون مع مان راي، كما في عدد من المعارض السريالية في منتصف القرن تقريباً (في الأعوام 1938 و1942 و1959).

أصبحت الرائحة وسيلة أخرى للفنانين لتوصيل أفكارهم، وجؤوا إليها في عدد كبير من الحركات في النصف الثاني من القرن: من Fluxus إلى Arte povera مروراً بالفن النسوي أو فن الأرض Land art. فالرائحة، بما لها من تأثير بشكل خاص في إثارة رد فعل عميق لدى الجمهور، استُخدمت لهذه الغاية من قبل العديد من الفنانين: من ديتير روت وحقائبه الممتلئة بالجبن الفاسد الذي يجذب الديدان والذباب، إلى داميان هيرست، ورأس بقرته المتحللة، وذباباته المصعوقة بالكهرباء، وسلسلة منافض السجائر العملاقة.

ومع ذلك، تظل الرائحة مجالاً غير معروف في الفن. كثيراً ما يسألني الناس: "كيف بدأت بذلك؟". أنا لست صانع عطور، ولا حتى فناناً؛ أنا، من بين اهتمامات أخرى، قيّم ومؤرخ للفن الشمّي، تقريباً عن طريق الصدفة. ولكي

47
ريم الناصر
رصاص كامل (رصاص
البايسمين العربي)
جازان، المملكة العربية
السعودية
2023





48
هشام براءة
مسك الليل
2015

تينغلي في مدينة بال السويسرية، بمعرض تأسيسي بعنوان "نفس جميل- رائحة الفن". يعدّ هذا المعرض الأكبر من نوعه حتى الآن، حيث عرض أعمال أكثر من أربعين فناناً عالمياً. وعلى مسافة ليست بعيدة في الشهر التالي، في متحف فيلا روت بالقرب من مدينة أولم في جنوب ألمانيا، افتتح معرض آخر أبوابه بعنوان "هناك شيء ما في الهواء! الرائحة في الفن".

لكن أين ذهبت الرائحة في الفن العربي؟ كان من الممكن أن يظن المرء أنه، نظراً للتعاطف التقليدي للثقافة العربية مع الروائح، فإن هذه من شأنها أن تشكّل وسيطاً له حضور أكبر. ومع ذلك، تظل الأمثلة على استخدام الرائحة خلال القرن العشرين نادرة. ومن أبرز الاستثناءات العمل الفني الذي ابتكرته منى حاطوم "فعل مضارع"، عام 1996. يتكون هذا العمل من ألفين وأربعمئة قطعة من صابون زيت الزيتون المنتجة في مدينة نابلس شمال القدس، تشكل شبكة على الأرض. سطحها مرصع بخرزات زجاجية حمراء صغيرة ترسم الحدود الفاصلة بين المناطق والكاتونات التي تم اقتطاعها من فلسطين التاريخية بموجب اتفاقيات أوسلو من أجل إنشاء الدولة الفلسطينية المستقبلية. في هذا العمل تحمل الطبيعة المؤقتة للصابون وعداً باختفاء هذه الحدود غير العادلة، وتتناقض في الوقت نفسه مع ديمومة تقاليد صناعة الصابون التي حافظ عليها الفلسطينيون لعدة قرون.

أكون صادقاً، الأمر كله عبارة عن سلسلة من "الأحداث المترامنة"، على حد تعبير يونغ، حيث تلاقى الاهتمام والشغف والتواجد في المكان المناسب في الوقت المناسب. وهذا مهم للغاية بالنسبة للرائحة: من الصعب جداً فهم الفن الشمّي دون تجربته شخصياً. مع كل احترامي لبروست وسسكيند، يمكنك أن تقرأ عن الروائح قدر ما تشاء، فلن يكون الأمر أبداً مثل أن تشمّ ما هو موصوف كتاباً.

لقد وُلدت وترعرعتُ في مدينة بيروت التي مرّقتها الحرب، وليس في باريس أو غراس. في الثمانينيات، لم تكن الأمور وريدية بالكامل: كانت رائحة الحرب تفوح في الأجواء. قضيت جزءاً كبيراً من طفولتي، مع معظم جيراني، في ملجأ تحت الأرض. ولكن فوق الملجأ مباشرة كانت توجد صيدلية والدتي، وواجهاتها المحمية بجدران من أكياس الرمل خلال معظم فترات النزاع. هناك في الأعلى، شممت في زجاجات جميع أنواع الروائح الأخرى، والأماكن الأخرى... لذلك ليس من المستغرب تماماً أن تعود هذه الروائح إلى حياتي. وكما كتب دوغلاس آدامز: "ربما لم أذهب إلى المكان الذي كنت أنوي الذهاب إليه، ولكنني أعتقد أنني انتهيت إلى المكان الذي كنت بحاجة أن أكون فيه".

ليس من المستغرب أن يكون تاريخ فن الشم، منذ بداياته، قد اختلط مع تاريخ العطور (وتعقّد بسبب هذا الأخير). لذلك ربما كان من المتوقع أن يكون هذا صحيحاً أيضاً في حالتي الشخصية. في عام 2008، كنت مهندساً معمارياً في فيلادلفيا عندما اكتشفت على التوالي كتاباً عن العطور ومعرضاً لفنون الشم، الأمر الذي غيّر حياتي بشكل أو بآخر. كان الكتاب بعنوان "العطور: الدليل" من تأليف لوكا تورين وتانيا سانشير، وهو كتاب عرّفني على صناعة العطور المتخصصة، وبعد ذلك انغمست في هذه الدوامة العطرية: بدأت في القراءة والشم والرغبة في معرفة المزيد دائماً... كما كان لديّ فرصة لحضور أحد المعارض التأسيسية للفن الشمي تحت عنوان "حدود الرائحة"، نظمه جيم دروبنيك وجينيفر فيشر لمركز مونيل في فيلادلفيا.

بعد بضع سنوات، وهذه المرة في زوريخ، قررت أن أبدأ الدراسة للحصول على شهادة ماجستير جديدة في الإشراف على المعارض مع تخصص في فن الشم. والمقالة القصيرة التي كتبته للمشاركة في ندوة في العام التالي، 2013، تتصدّر اليوم أول ما يطالعنا (من بين أكثر من أربعة ملايين مقالة أخرى) مع موجز تقديمي يوقّره محرّك غوغل عندما نبحت عن "تاريخ الفن الشمي"، والثاني هو مدخل ويكيبيديا عن "الفن الشمي" (الذي يستشهد بمقالاتي خمس مرات). وهكذا وجدت نفسي مرة أخرى في المكان المناسب في الوقت المناسب، وتحديداً في أوروبا خلال عام 2015 الذي كان عطراً بشكل خاص.

من الواضح أنه كان هناك شيء ما في هواء أوروبا في ذلك العام؛ كانت تفوح منها رائحة الفن بشكل واضح. كان الأمر كما لو أن القارة، بعد سباتها الرقمي الأخير، قد استيقظت وأعدت اكتشاف المعنى الذي كانت قد تجاهلته تقريباً، وتاريخ الفن الذي يكاد يكون منسياً. بدأ كل شيء في فبراير في متحف

ونرى أصداء لأعمال حاطوم، سواء من حيث الشكل أو السياق، في قطعة عطرة أخرى، في هذا المعرض: "بيتي الثاني"، للوران ماريشال. وعلى غرار أعمال حاطوم (وهي فلسطينية ولدت في لبنان وكانت تزور القدس للمرة الأولى)، استلهم ماريشال أعماله من إقامته الأولى في القدس عام 1997 خلال تبادل طلابي. وعند عودته إلى دياره مع اندلاع الانتفاضة الثانية، وفي مواجهة مأزق صراع لا يزال يرسم الحدود، ويقدم جدران الفصل والتمييز، اعتمد ماريشال على ذاكرته العاطفية المطبوعة بعمليات الإجلاء اليومية وصفارات الإنذار والقنابل، في وقت لم يكن فيه أحد آمناً في منزله. "بيتي" (كلمة مشتركة باللغتين العربية والعبرية) يرسم على الأرض مخطط منزل فلسطيني مساحته 40 متراً مربعاً يعود تاريخه إلى بداية القرن الماضي، وتتكون فسيفسائه من طبقة رقيقة من التوابل قام الفنان بترتيبها. "لساعات وأيام، كان لوران ماريشال جاثياً على ركبتيه يؤلف أشكالاً زخرفية تعود للعصر الإمبريالي والاستشراقي. ويشير هذا التركيب سريع الزوال، الذي يشبه الماندالا الرملية، إلى النهاية المأساوية لهذه المنازل التي تحوّلت إلى غبار" (زليو، 2022). وربما يكون الياسمين، أكثر الروائح حضوراً في الفن العربي، كما تُظهر بعض الأعمال في هذا المعرض. يحاكي "عطر الرصاص الكامل" (رصاص

49.
هدى لطفي
حديقة العطور
دبي، الإمارات العربية المتحدة
2008

هدى لطفي، حديقة العطور
(تفصيل)، 2008، دبي
(الإمارات العربية المتحدة).



الياسمين العربي) لريم الناصر رائحة الياسمين وملابس عمل "شبح" للطيفة الشخص (2012)، لكنها تضع الزهرة في سياق خاص، فستان زفاف تقليدي مع ملحقاته، مصنوع بالكامل من براعم الياسمين. تم تنفيذ هذا العمل من قبل منتجين لهذه الزهرة في مدينة جازان السعودية وأرسل إلى باريس في اليوم نفسه، قبل ساعات قليلة من افتتاح المعرض في معهد العالم العربي، ليظل الياسمين طازجاً ويطلق أريجاً في أرجاء المعرض.

ومن أعمال "الياسمين" الأخرى في هذا المعرض "مسك الليل" لهشام برادة. يلمح اسم العمل، "مسك الليل"، إلى نبات مزهر عطري يسمى عادة "ياسمين الليل". وكما يوجي اسمه، فهو يطلق رائحة المسك الحلوة في الليل. ومع ذلك، فإن الجزء الأول من الاسم مفضل تماماً، لأن هذه النبتة ليست ياسميناً في الحقيقة (بل تنتمي في الواقع إلى عائلة البطاطس). يعكس التركيب دورة الرائحة في الأزهار بفضل الضوء الذي ينير الواجهات من الأعلى ويسمح للزائرين بشم رائحة "الياسمين" في وضوح النهار.

هناك مشروع آخر يضم كلاً من الياسمين (الذي يوجي بدمشق) ومسك الليل (الذي يوجي بتونس) وهو الذي أوصلني إلى معهد العالم العربي. "روائح المنفى" هو معرض متنقل قمت بتطويره مع صديقي العزيز رأفت حمزة، بالشراكة مع شركة "غيفودان" العالمية الرائدة في مجال العطور. وهو مستوحى من ديوان "في حضرة الغياب"، أحد أحدث دواوين الشاعر الفلسطيني محمود درويش، والذي يستحضر فيه روائح المنفى وروائح عدد معين من المدن (بالإضافة إلى المدينتين المذكورتين أعلاه: عكا، وموسكو، والقاهرة، وبيروت، وباريس، والرباط). تستكشف في هذا المعرض روائح المنفى من خلال فن الشم، بينما روائح المدن تستكشفها صناعة العطور، وقد أردنا من خلاله تبين الحدود غير الواضحة التي تفصل بين هذين الحقلين وكل ما يشتمل عليه.

وضع القرن الحادي والعشرين المتاحف أمام جملة من التحديات، ولاسيما رقمنة المرئي والمسموع. لكن الرائحة بقيت تقاوم يعناد كل هذا التطور. وقد بدأنا ندرك أن هذا ليس، من نواحٍ عديدة، أمراً سيئاً بالضرورة. ربما تكون الحاجة إلى التجسيد، أي فكرة الحضور الحسي، واحدة من أكثر الجوانب تطلباً (وجذباً) في الفن الشمي، خاصة في عالم (ما بعد) الوباء الذي اتجه إلى الرقمنة بشكل متزايد. ومن بين الحواس الثلاث "البعيدة" (تلك التي لا تتطلب الاتصال بالمصدر)، تظل الرائحة هي الأقل قابلية للرقمنة.

ثم جاء كابوس كوفيد 19 الأخير. أوقف هذا الوباء أو أخر التحضير للمعرض، مثل أشياء كثيرة أخرى، وأوقف حياتي (وكاد أن ينهيتها: دخلت المستشفى لمدة ثلاثة أسابيع في صيف 2021، بما في ذلك أسبوعان في وحدة العناية المركزة). لقد تذكرنا جميعاً كم أنّ أنفاسنا ثمينة، وكذلك حاسة الشم لدينا. لحسن الحظ، لقد نجوت من كوفيد ولم أفقد حاسة الشم؛ حتى أنها أصبحت في البداية أكثر حساسية، ذاك أن الروائح المألوفة مثل رائحة

البهارات أو الدخان تسببت لي في البداية بنوبات سعال عنيفة. ولكن لم يمض وقت طويل حتى قُدمت للجمهور برنامج شمي في أول بينالي للفن المعاصر، في المملكة العربية السعودية.

ربما تكون حاسة الشم هي الحاسة الأكثر ارتباطاً بالذاكرة والعواطف. قد لا تكون مدربة بما يكفي لدى معظم الناس، لكن هذا ليس أمراً سيئاً بالضرورة. إنّ ذلك يمنح الروائح قدرة على تجاوز الكلمات والأفكار التي غالباً ما نحضن أنفسنا خلفها. يعتقد الكثيرون أن هذه هي الفرصة المثالية لدخول الأعمال الشمية إلى عالم الفن، من خلال الاستفادة من موضة الاعتماد على التجربة، الرائجة في الوقت الراهن. ففي عالم رقمي من الشاشات الوامضة، أضحت جاذبية الجسدي أمراً مفهوماً للغاية. خلف الشاشات والسقاعات، يوجد دائماً عالم غالباً ما ننساه. لذا، في بعض الأحيان، دعونا نأخذ الوقت الكافي لنشم رائحة الفن.

دعوة إلى السفر: الشرق وصناعة العطور المعاصرة

أوجيني باريو

مديرة مشروع التاريخ والنقل، شركة غيفودان

مخيل وُلد مع العطور

كتب رولان بارت في "نظام الموضة" (بارثس، 1983، ص. 10): "ليس الشيء، بل الاسم هو الذي يجعلك ترغب به، وليس الحلم، بل المعنى هو الذي يجعلك تبيع". في حالة العطور، وهي بطبيعتها خالية من المادية، وربما أكثر مما هو الحال بالنسبة للموضة، يبدو من الضروري، مع كل إطلاق مُنتج جديد، أن تربط بالرائحة نفسها طاقة تخيلية قوية، قادرة على الإيحاء بخصائصها وعلى منحها حضوراً في عالم التواصل من خلال الصور. تمكّن صانعو العطور منذ بدايات الصناعة، في القرن التاسع عشر الميلادي، من الاعتماد على صور الشرق المتخيل وهي صور قوية التأثير، لبناء خطاب (سرديّة) حول منتجاتهم.

وفي اللحظة التي رسم فيها أوجين دولاكروا لوحته "نساء من الجزائر في شقّتهن"، والتي عُرضت في صالون مارس 1834، تحدث أونوريه دو بلزاك لأول مرة عن روايته "سيزار بيروتو"، التي كان قد بدأ بكتابتها لتتو (أكتوبر 1833، والتي ستصدر عام 1837). في أجواء باريس الرومانسية في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، استلهم بلزاك الانبهار بالشرق الخالم والخيالي ليبتكر شخصية بطل الرواية، وهو صانع عطر "ملكة الورد"، La Reine des Roses، الذي يعود نجاحه بشكل كبير إلى "عجينة السلطانات المزدوجة" التي استوحى فكرتها من كتاب "عبد القادر أو فن الحفاظ على الجمال"، وهو "كتاب يظن أنه عربي، نوع من رواية كتبها طبيب من القرن الماضي"، وقد تم نشره بالفعل في أمستردام عام 1758 (1170هـ).

يكتب بلزاك ساخراً: "في الوقت الذي لم تكن نتحدث فيه سوى عن الشرق، بدت تسمية أي مستحضر تجميل 'عجينة السلطانات'، وما تحمل هذه الكلمات من سحر في بلد يحرض كل رجل فيه على أن يكون سلطاناً كما تحرض كل امرأة على أن تصبح سلطانة، فكرة رائعة يمكن أن تحظر ببال أي إنسان عادي أو أي إنسان ذكي". من بين مصادره، هناك منتجات معروفة في زمنه، تظهر

في دليل دبشيه وبيفير، وهم صانعو عطور في دار "ملكة الزهور"، القائمة في شارع سان مارتان، في باريس، وقد طبع بلزاك بنفسه دليل هذه الدار في عام 1827: مستحضر التجميل المسمى "سركيس السرايا"، "مسحوق السلطانات المفضل" لتبييض البشرة وإزالة النمش، وزيت ماكاسار، وهو بالتأكيد أحد زيوت جوز الهند، والذي تنقلنا غرابية اسمه أيضاً إلى شواطئ إندونيسيا البعيدة.

من الشرق إلى الشرق الأقصى: جغرافيا متغيّرة

بعد أقل من قرن بقليل، تفتّن مصممو الأزياء في صناعة العطور، مع تركيز كبير على الصورة. في عام 1911، كان بول بوارى أول من سلك هذا الطريق، فأطلق عطراً تحت مسمى "عطور روزين"، لم يستفد من علامته التجارية في الأزياء. في عام 1923، ورد في دليل داره ذكر المئذنة وعلاء الدين، اللذين يستحضران شرق "ألف ليلة وليلة"، إلى جانب "المهرجا وليل الصين"، اللذين يذهبان بنا إلى شواطئ أبعده. بالنسبة إلى دار غيرلان، التي يعتمد نشاطها حصرياً على صناعة العطور، كانت الحاجة أكبر إلى الاعتماد على عوالم مثيرة للخيال. في عام 1919، أطلق جاك غيرلان علامة "ميتسوكو"، التي سُميت على اسم البطلة اليابانية لرواية كلود فريير، "المعركة" La Bataille، والتي بيع منها مليون نسخة، ومع "شاليمار" في عام 1925، تم استحضر خيال الهند بأكمله بكلمة واحدة. منذ سبعينيات القرن الماضي وتطور التلفزيون ثم الإنترنت، بالإضافة إلى الاسم والزجاجة، شكل المنحى الإعلاني بالطبع نقطة الثقل في الخطاب التسويقي. ومن بين الإعلانات الحديثة، تبرز Chloé Nomade، التي تم إطلاقها في عام 2019، المناظر الطبيعية لولاية راجاستان، التي تعبرها امرأة شابة بحثاً عن سراب أزهار في قلب الصحراء. وفي الإعلان الدعائي My Way لجورجيو أرماني (2020)، تسافر فتاة الإعلان من الهند إلى اليابان عبر تايلاند، قبل أن تعود إلى إسبانيا وإيطاليا. وفي كلتا الحالتين،

يصبح الشرق مرة أخرى مرادفاً للهنالك البعيد، وفي ذلك دعوة للسفر تأتي كاستجابة للانجذاب نحو الغرابة واكتشاف العالم الذي من المفترض أن جيل المستهلكين الشباب يتوق إليه. وإذا كان هذا التخيّل للشرق قد بقي غير واضح المعالم، فإننا نلاحظ بموازاة ذلك، على مستوى الشم، ومنذ حوالي عشرين عاماً، بداية ظهور التلوينات الشرقية البحتة كالعود على سبيل المثال والتي صارت تحتلّ مكاناً متزايداً، وذلك لأن سوق الشرق الأوسط يفتح بشكل متزايد على العلامات التجارية الغربية ولأن ظهور صناعة العطور المتخصصة يجعل المستهلكين الغربيين أكثر جرأة في أدواقهم. وإذا كان عطر M7 الذي أطلقه إيف سان لوران قد اعتُبر رائداً في عام 2002، فإن العطور التي تعتمد على العود لا تعدّ ولا تحصى اليوم، مما يعكس التحول نحو هذا الاتجاه الجديد في مسار العطور الغربية الطويل التي تتلمس طريقها بين إبحاءات روائح الشرق.

رائحة الهُنّك

من وجهة نظر شقّية بحتة، في الواقع، منذ عشرينيات القرن الماضي، أدى النجاح الهائل الذي حققه عطر "شاليمار"، من خلال رائحته الدافئة والفانيلية، إلى ترسيخ هذه الرائحة في الثقافة الجماعية باعتبارها نموذج العطور "الشرقية". وبعد أكثر من خمسين عاماً، أُكّد عطر Opium، الذي تم إطلاقه في عام 1977، من جديد الارتباط بين

هذه الأعباق الفخمة والحسية، وغرائبية مكان بعيد يضعه الخيال في الشرق. وقد شهد إطلاق هذا العطر الذي دغمته أكبر ميزانية إعلانية عرفتها صناعة العطور على الإطلاق، أعظم نجاح في زمنه، حيث أعاد تحديد قواعد السوق، وأكد مرة أخرى على أهمية الحملات الإعلانية لبناء صورة العطر. بالنسبة لدور العطور الفرنسية، تحتل حدود الشرق مع حدود الهند والشرق الأقصى، لكن هذه الجغرافيا الخيالية ترتبط بنفس الأعباق الدافئة العنبرية، وحتى المسكية، والتي أطلقت عليها صناعة العطور أولاً اسم "الأعباق العنبرية"، ثم في الثمانينات "الشرقية". بالنسبة لصانع العطور الشهير إدموند رودنيتسكا، في خمسينيات القرن الماضي، يتكون العطر "من الروائح البلسمية الرئيسية المرتبطة بالفانيلين والمكونات الشرقية، الباتشولي، نجيل الهند، خشب الصندل، إلخ. والمستخلصات من هذا النوع هي عطور ثقيلة ودافئة وقوية بشكل فريد وصامدة. وزعيم هذه العطور بلا منازع هو شاليمار" (رودنيتسكا، 1991، ص. 45). كما أن اللبان، والمر، والجاي، والقريضة... تعدّ من بين الروائح البلسمية المذكورة.

في أساس العطور الراقية المعاصرة

وفقاً للتقليد الشمي لهذه الأعباق الكثيفة والحلوة، تم إطلاق عطر "أنوثه الخشب" Féminité du Bois في عام 1992، من قبل



50

ديمة سروجي

تكوين مجوّف: مجموعة

العطور (حامل زيت العود

القابل للارتداء)

فلسطين

2019



وقد بنت هذه الدور هويتها الخاصة على خيال إبداعي مختلف بالتأكيد، ولكنه دائماً شخصي وقوي... وراء نجاح عطر Opium وكذلك الأمر بالنسبة لنجاح العلامة التجارية "سيرج لوتنس"، هناك عامل ثابت: قوة الإيحاء التي لا تضاهى لمخيال الشرق.

<http://youtu.be/kKbYHriawrQ>

سيرج لوتنس وتصميم كريستوفر شيلدريك، هذه المرة ضمن العلامة التجارية شيسيدو في غاليري فالوا في باريس؛ وتحمل هذه العطور تنويعات من رائحة خشب الأرز، التي تتحول إلى العديد من الأعباق الشمية المختلفة: الخشب والمسك، الخشب والفواكه، خشب البنفسج والخشب الشرقي؛ كأنها لوحة لونها واحد لكنه يتموج في درجات مختلفة، يتراقص عليها الضوء ليمنح العمل الحياة والعمق، ويكشف عن الجمال القائم فيه، ليس هذا فحسب بل ليكشف عن جمال فن صناعة العطور الذي يوحى به ويقتضيه.

ومن خلال تكريس هذا الهيكل الباريسي لتكريم الأرز، يعيد سيرج لوتنس العطر بشكل رمزي إلى بُعد الروحي الأصلي، فلا تعود صناعة العطور منتجاً، بل عملاً معناه ليس بعد الآن في الخطاب الذي يحيط به، وإنما هو من جديد في العطر نفسه. وبموازاة هذا التجذر في المواد الخام، على مدى سنوات تلت، قام سيرج لوتنس بلورة جزء كبير من التنويعات العطرية لعلامته التجارية مرتكزاً على مخيال الشرق الذي وضعه في الأساس الإبداعي لداره: عنبر سلطان (1993)، أزهار البرتقال (1995)، جلد مغاربي (1996)، راحة الخلقوم (1998)، الجزيرة العربية (2000)، شرقي (2001)، خلوة تدخين تركية (2003)... وقد أصبح نهجه مصدر إلهام، لصناعة العطور المتخصصة في المستقبل.

إذا كان عطر Opium قد أوجد قواعد جديدة لنجاح علامات دور أزياء راقية ترغب في دعم منتجاتها برسالة إعلانية واضحة وقوية، فإن العلامة التجارية "سيرج لوتنس" (2000) تدل على الطريق من أجل تبني نهج معاكس، من خلال الارتكاز إلى العطور المتخصصة الناشئة: Éditions de Parfums فريديريك مال (2001)، État Libre d'Orange (2006)، Kilian (2007)...

فرح القاسمي
عطور (رجالي، نسائي)
تركيا
2018
دي، معرض الخط الثالث

فرح القاسمي
عطر
(أوباما، محبوب، بلا عيوب)
تركيا
2018
دي، معرض الخط الثالث



الأرز في لبنان أو جبال الأطلس، وطول عمرها ملفت للنظر (ألفا سنة)، ترتبط في العالم العربي بمرز تجاوز الزمن البشري. في النهج الذي اتبعه، والذي يرى فيه "اتجهاً جديداً وشاملاً لصناعة العطور"، يتحدث سيرج لوتنس عن "عودة النقاء، وإمكانية التعرف على مادة لصنع العطور، في صناعة العطور". تم اتباع هذا المسار أيضاً، بدرجة أقل، من قبل دار مثل L'Artisan Parfumeur منذ نهاية السبعينيات، وهو مسار يقضي باستبدال المادة الخام بمبدأ الإبداع العطري، وقد أخذ مع سيرج لوتنس بعداً جديداً ومختلفاً.

في عام 1992، جنباً إلى جنب مع Féminité du Bois، تم تصوّر أربعة عطور أخرى من قبل

صانع العطور كريستوفر شيلدريك، وقد صممه سيرج لوتنس، المدير الفني لشركة شيسيدو اليابانية آنذاك. في عام 1968، خلال رحلته الأولى إلى المغرب، أحضر هذا الأخير قطعة من خشب الأرز وبدأ منذ ذلك الحين يفكر في المشروع الذي يمكنه من أن يصنع منها عطراً في يوم من الأيام. وإذا كانت الزهور، الخاضعة لإيقاع الفصول، هي رمز لهشاشة الحياة وزوالها، فإن الأشجار، على العكس من ذلك، تستحضر صورة الدوام والتعالي. وفي كل حضارة هناك شجرة معينة تجسّد هذه الفكرة: في أوروبا السنديان، في حوض البحر الأبيض المتوسط، شجرة الزيتون، في أمريكا، السكوّية ذات الخشب الأحمر، في الهند، خشب الصندل، إلخ. وشجرة

العناية بالجسد

52.
مكشطة الحمام في الشرق
الأدنى
القرنان الحادي عشر
والثاني عشر



تُعتبر الحمامات من البنى الأساسية في المدن العربية، وهي موروثة عن الحمامات الرومانية. وإلى جانب كونها فضاءً للرفاهية والتواصل الاجتماعي، فهي تشكل أيضاً مسرحاً لطقوس العناية بالجسد المتأصلة في الثقافة العربية الإسلامية والتي تتطلبها القيام بالفروض الدينية المرتبطة بنظافة الجسم وطهارته. تشكل الحمامات أيضاً جزءاً لا يتجزأ من فن الحياة الحقيقي، حيث يقصدها الرجال والنساء للاغتسال بالصابون وتطبيب الجسم والشعر بالزيوت والمرهم والمياه المعطرة. تُستخدم هذه المنتجات لطيب رائحتها وإنما أيضاً لخصائصها التجميلية والطبية. وعلى الرغم من أن هذه الممارسات القديمة تزداد ندرةً منذ أن غزا الحمام الفردي المنازل، إلا أنها لا تزال حاضرة في البلدان العربية حتى اليوم.

53، 54، 55.
صحن الصابون وحجر الخفاف
وعلب حجر الخفاف
تركيا
أوائل القرن التاسع عشر



51.
معرفة ماء
تركيا
1578-1577



الخطور الصلبة (الحديد)
غرداية، الجزائر
باريس، متحف كيه برانلي -
جك شيرك



58
قارورة على شكل كمثري
القرنان التاسع والحادي عشر

56
زوج من تعال الحمام
(القباب)
سوريا
حوالي 1850



57
مكشطة الحمام على شكل
قارض
القرن الثاني عشر



عطور الروحانية

مكانة مميزة في الممارسات الروحانية للفراعنة والرومان والعرب في عصر ما قبل الإسلام. كما تتوفر وثائق تشير إلى استخدام العطور من قبل المسلمين منذ فجر الإسلام. ولكن، على الرغم من تشديد الإسلام على أهمية نظافة الجسم وطهارته باستخدام العطور، لم يكن للعطور في الدين أي وظيفة طقسية.

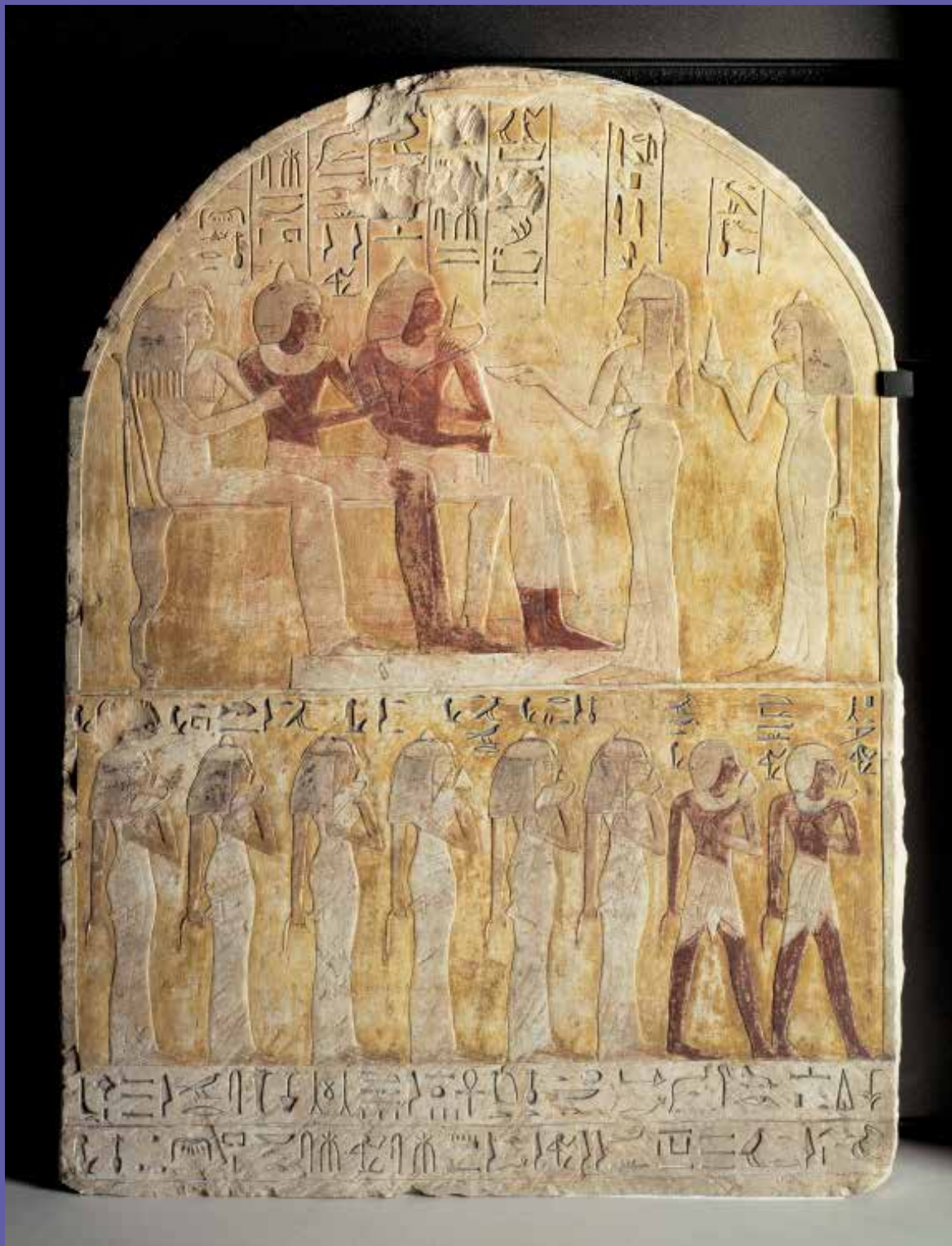
استُخدمت العطور في الطقوس الروحانية والدينية منذ العصور القديمة؛ حيث شكّل التبخير إحدى الممارسات المهمة في الكثير من الاحتفالات الدينية في المناطق التي نشأت حول حوض المتوسط وفي الشرق الأوسط في عصر ما قبل الإسلام. كانت أعمدة الدخان المعطر ترمز إلى صعود الصلوات والقرايين. احتلت العطور



زخرفة المنزل (tizerlik)
أديامان، تركيا
النصف الثاني من
القرن العشرين
باريس، متحف كيه براتلي -
جاك شراك



.59
قارورة بلسم
(تمثال نصفي نوبي)
القرن الثاني



.60
شاهدة مقوسة
مصر
1279-1213 ق.م.



.61
شاهدة مقوسة
مصر
1427-1353 ق.م.

العطر لباقية

زوايا المنزل، فتتسرب من المطبخ الروائح المشبعة بالتوابل فتملأ المنزل وتمنحه رائحة تميّزه عن سواه. وأخيراً، من وجهة نظر شخصية للغاية، يميّز العطر كل فرد ويمنحه جاذبيته. والروائح الحميمة هي تلك المرتبطة بالطفولة والعائلة والأحبة والأصدقاء. وهي تعبّر عن أذواقنا الفردية، ومكانتنا الاجتماعية، والأهمية التي نوليها لنظرة الآخرين إلينا. هي المرأة الخفية الفانية إلى أعماق شخصيتنا.

يُعدّ الذوق المميز في العطور واقعاً ثقافياً مهماً في العالم العربي وحاضراً في المجال الحميم، أي في دائرة الأصدقاء والعائلة والأحبة. يستخدم الناس العطور للتطيب أو للترحيب بالضيوف، أو لإثراء حياتهم اليومية، أو احتفاءً بالجمال. وهكذا أصبح استخدام العطور قاعدةً أساسية من قواعد حُسن الخُلُق. داخل المنزل، تفوح من المباخر روائح نفاذة ترّحب بأهل البيت وزواره عند الباب، كما تنبعث الروائح العطرية من

.62
مرثش من الفضة
الجزيرة النبوية، المدينة
المنورة، المملكة العربية
السعودية
القرن الثالث عشر الهجري /
القرن التاسع عشر الميلادي



تعطير الضيوف

آداب الضيافة واحترام الضيف وتقديره، ويلتزم بها الجميع كلاً بحسب مقدرته وإمكاناته؛ فيقدم الأثرياء مثلاً منتجات فاخرة وباهظة الثمن، بينما يركن ذوو الإمكانيات المتواضعة إلى الروائح ميسورة التكلفة كالزهور المجففة. أما الأدوات المستخدمة في هذه الطقوس فهي مشتركة ومتوفرة في المنازل منذ قرون.

يُعتبر حسن الضيافة واجباً اجتماعياً أساسياً في البلدان العربية، حيث كان الترحيب بالضيوف من الآداب المتعارف عليها، وكان يتم التبخير وتبادل العطور. ولا يزال هذا التقليد القديم حياً في بلدان شبه الجزيرة العربية. عند الترحيب بالضيوف، من الشائع تعطير شعرهم ولباسهم من خلال حرق العطور أو رش ماء الورد. تُظهر هذه الطقوس أهمية

.63

مبخرة

أواخر القرن الثاني عشر -
أوائل القرن الثالث عشر

.64

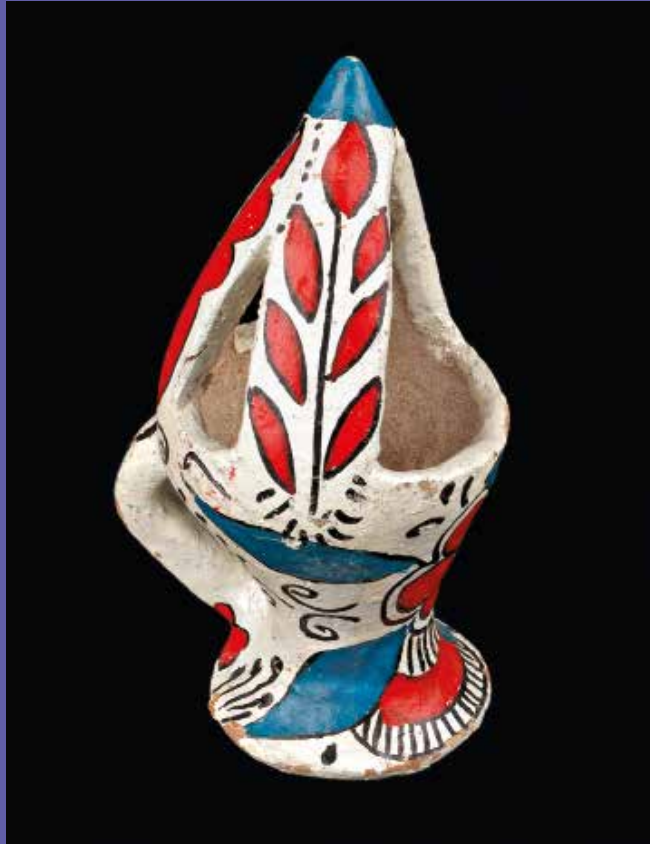
مبخرة على شكل حمامة
القرن الثاني عشر



ميخرة
اليمن
باريس، متحف كيه برانلي -
جاك شيرك

ميخرة
عدن، اليمن
باريس، متحف كيه برانلي -
جاك شيرك

.65
كرة البخور
سوريا
أواخر الخامس عشر -
أوائل القرن السادس عشر





.68
مبخرة من الحديد
الحجرة النبوية، المدينة
المنورة، المملكة العربية
السعودية
القرن السابع عشر الميلادي



.69
منخل من الفضة
الحجرة النبوية، المدينة
المنورة، المملكة العربية
السعودية
1864-1865 م.



.66
مجمرة مزخرفة من الحجر
الكلسي
قرية الفاو، منطقة الرياض،
المملكة العربية السعودية
القرن الرابع قبل الميلاد -
القرن الرابع الميلادي



.67
مجمرة منقوشة من الحجر
الرملي
تيماء، منطقة تبوك، المملكة
العربية السعودية
الألف الأول قبل الميلاد



.72
مذبح مزّين بمشاهد شعائرية
يُعرف باسم "مكعب
الحمراء" (مستنسخ)
قصر الحمراء، تيماء، منطقة
تبوك، المملكة العربية
السعودية
القرن السادس قبل الميلاد



.73
نصب منقوش من الحجر
الرملي يُعرف باسم "نصب
الحمراء" (مستنسخ)
قصر الحمراء، تيماء، منطقة
تبوك، المملكة العربية
السعودية
القرن السادس قبل الميلاد



.70
صندوق من النحاس
والقماش يستخدم لحفظ
البخور
مجهول المصدر
القرن الثالث عشر الهجري /
القرن التاسع عشر الميلادي



.71
صندوق من النحاس مزّين
بديك
القرن الثالث عشر الهجري /
القرن التاسع عشر الميلادي

75 . 76 . 77
عائشة السويدي
مدخنة
الدوحة، قطر
2014



74
مرتضى
تركيا أو آسيا الوسطى
أواخر القرن الثامن عشر -
أوائل القرن التاسع عشر





صَيَابَة تَصْبُ القهوه
السعودية

صَيَابَة تُعَدُّ البخور

صَيَابَاتَانِ تَحْمَلْنَ مِبحرتين

استنشاق نكهات الأطباق

ولا غنى عنها في تحضير الأطعمة والحلويات والمشروبات. ولذلك، يُعدّ المطبخ العربي مملكة التوابل والأعشاب. تعطر الروائح المنبعثة من المطبخ المنزل وتمنحه هوية خاصة وتثير فينا جميعاً ذكريات شجية قوية تشدنا إلى أيام الطفولة.

لا يمكن فصل روائح الطبخ عن العطور في العالم العربي. فالمطبخ الشرقي معروف بنكهاته وروائح الغنية وتُستخدم فيه مكونات تدخل أيضاً في صنع العطور المخصصة لتطبيب الجسد. فماء الورد وبعض التوابل والأعشاب العطرية التي تدخل في صناعة مستحضرات التجميل تُستخدم كمكونات أساسية لتنكيه الأطباق

لوران ماريشال
بيتي 2 (تفصيل)
فرنسا
2011 (تاريخ الإنتاج الأول)





مادة تزيينية فانية

ترافق العطور والزيوت والزهرة والمرام
مجموعة من طقوس العناية بالجمال والدلال
لدى الرجال والنساء على حدّ سواء. يستخدم
الناس العطور لتعزيز جمالهم وجاذبيتهم.
العطور الحلوة هي زينة فانية وغامضة، تكون
إما مخبأة في قطع الخلي أو مُبرزة بفخر في تيجان
الزهرة.

يقف الأدب والشعر شاهداً على هذه
الممارسات، فالعطر جزء لا يتجزأ من الحب،
والحبيب عطره عذب على الدوام؛ يلبسه
ويلزمه فيصبح سمة يُستذكر بها شخصه.

.80

صندوق
الربيع الأول من القرن الثالث
عشر

.81

زجاجة صغيرة على قاعدة،
ربما تكون من مجموعة أدوات
تجميل
مصر أو بلاد ما بين النهرين
القرن التاسع - القرن العاشر



.82

طبق التجميل
بين القرنين الحادي عشر
والثاني عشر



مشبك صندوق العطور
وادي دعة، المغرب
أوائل القرن العشرين
باريس، متحف كيه برانلي -
جاك شيرك



زوج من الزخارف المجدولة
وادي دعة، المغرب
أوائل القرن العشرين
باريس، متحف كيه برانلي -
جاك شيرك



قلادة سكاب
تونس العاصمة، تونس
أواخر القرن التاسع عشر -
أوائل القرن العشرين
باريس، متحف كيه برانلي -
جاك شيرك

حلية الأذن
فاس، المغرب
أوائل القرن التاسع عشر
باريس، متحف كيه برانلي -
جاك شيرك





لائحة بالأعمال

1. مبخرة الموصل، العراق منتصف القرن الثالث عشر نحاس مصبوب مطعم بالفضة 20 × 10.5 سم لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، MTW1663 ص. 2

2. رأس أسد ومخلب من البرونز الأخدود، منطقة نجران، المملكة العربية السعودية القرن الثاني قبل الميلاد - القرن الأول الميلادي الرياض، هيئة المتاحف، 1328 ص. 8

3. دينيس دايلو الحصاد في مرتفعات الأطلس المتوسط الأطلس المتوسط، المغرب 2015 ثلاث صور فوتوغرافية تناظرية (طباعة المعرض) 80 × 80 سم مجموعة الفنان ص. 12

4. مبخرة ثلاثية القوائم مصر القرنان الثامن والتاسع 13.1 × 19 × 12.7 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار المصرية، مودعة بقسم الفنون الإسلامية، E11707 ص. 17

5. مرشّ عطر القرن التاسع عشر زجاج منفوخ ومقولب، أزرق كوبالت نحاس مصبوب مطعم بالفضة 35.3 × 10.5 سم ليون، متحف الفنون الجميلة في ليون، D147 ص. 18

6. مرشّ ماء الورد تركيا القرن الثامن عشر زجاج أزرق منفوخ، معدن مذهبّ 18 × 8 سم لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، GLS 535 ص. 22

7. تمثال حمل من الحجر الجيري شبه الجزيرة العربية القرن الأول ق.م. حجر جيري 20 × 23 × 6 سم لندن، مؤسسة الفروسية للفنون، مودّع في متحف معهد العالم العربي R-3052 ص. 24

8. جقال يركب ناقة ترضع صغيرها شبه الجزيرة العربية القرن الأول ق.م. - القرن الأول م. حجر جيري 22 سم لندن، مؤسسة الفروسية للفنون، مودّع في متحف معهد العالم العربي R-3053 ص. 24

9. صب تجسيم من معبد حتشبسوت يمثل شجرة بخور الدير البحري، مصر 1480-1460 ق.م. (تاريخ النموذج)، 1600-2000 (تاريخ الصب) حص 56.7 × 34.7 × 2.9 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار المصرية، AF12843 ص. 36

10. ديوسقوريدس حصاد بلسم،"كتاب الحشائش"، الترجمة العربية لDe Materia Medical سمرقند، أوزبكستان نسخة تعود لعام 1082 حجر ولون معتم على ورق 31 × 21.5 سم ليبد، مكتبة الجامعة، المجموعة الشرقية، رقم 289، المجلد 12r ص. 38، 41

11. زكريا بن محمد القزويني شجرة البلسم، "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" نسخة مؤرخة حوالي 0841 حجر على ورق 26 × 17.5 سم باريس، المكتبة الوطنية الفرنسية، قسم المخطوطات الشرقية، الملحق الفارسي 2051، المجلد 110v ص. 43

12. العُفري البلسان، "مسالك الأبحار في ممالك الأمصار" دمشق، سوريا نسخة مؤرخة من القرن الرابع عشر حجر وغواش على ورق 26.5 × 18.5 سم باريس، المكتبة الوطنية الفرنسية، قسم المخطوطات الشرقية، العربية 2771، المجلد 147v ص. 45

13. ج. بربويست غدة المسك من غزال المسك (أيل سيبيريا المسكي) بنكولن، سومطرة حوالي عام 1824 من ألبوم يتضمن 51 رسماً لعصافير وثنديات، منفذ بطلب من ستامفورد رافلز ألوان مائية مستنسخ لندن، أرشيف المكتبة البريطانية ص. 48

14. هنري ميلن إدواردز أيل الهيمالايا المسكي أبحاث لخدمة التاريخ الطبيعي للثنديات أطلس، اللوحة 20 باريس، ج. ماسون 1868-1874 طباعة (لوحة 20) مستنسخ واشنطن، مكتبة تراث التنوع البيولوجي، بمساهمة من مكتبات وأرشيف سميثسونيان ص. 49

15. زين الدين علي الأنصاري غدد المسك، "اختيارات البديعي" الهند نسخة مؤرخة من أواخر القرن الثامن عشر حجر وغواش على ورق 27 × 14 × 6.2 سم باريس، المكتبة الوطنية الفرنسية، قسم المخطوطات ال شرقية، الملحق الفارسي 1640، المجلد 385 ص. 51

16. مبخرة منقوشة المملكة الحميرية، جنوب الجزيرة العربية القرن الرابع قبل الميلاد حجر جيري منقوش بخط يعود لجنوب الجزيرة العربية مع أسماء بالراتنج 8 × 9 × 11 سم باريس، متحف معهد العالم العربي، 03 AI-17 ص. 54

17. تمثال صغير لجمال مع نقوش بالخط الحجازي لجنوب الجزيرة العربية الحجاز، المملكة العربية السعودية القرن الثاني - الأول ق.م. سبيكة نحاس 20 × 23 × 7 سم لندن، مؤسسة الفروسية للفنون، مودّع في متحف معهد العالم العربي R-2167 ص. 56

18. ختم نيو-بابلي بلاد ما بين النهرين، العراق 604-539 ق.م. عقيق أبيض 2.6 × 2.1 × 1.8 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار الشرقية، AO 2156 ص. 57

19. ختم أسطواني وطبعته مرغاب، طاجيكستان 2100-1500 ق.م. (ختم أسطواني)؛ القرن العشرون (طبعة) يشّب 3.2 × 1.5 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار الشرقية، AO 22352 ص. 59

20. ساكف مزخرف من الحجر الكلسي قرية الفاو، منطقة الرياض، المملكة العربية السعودية القرن الثالث قبل الميلاد - القرن الرابع الميلادي الحجر الكلسي الرياض، هيئة المتاحف، 15 ف. 12 ص. 61

21. قارورة على شكل جمال سوريا القرنان السابع والتاسع زجاج منفوخ، زخرفة مطبقة 10.4 × 7.8 سم لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، GLS 598 ص. 62

22. نديم أصفر صور متداخلة، Hyperimages بيروت، لبنان 2001-2004 48 فوتوغراماً، رذاذ الحجر على ورق Awagami INBE سبعون غراماً 10 × 15 سم (كل فوتوغرام) باريس، مجموعة الفنان ص. 64-65

23. عبدالرحمن الدغيلي الورد الطائفي الطائف، المملكة العربية السعودية 2022-2024 5 صور فوتوغرافية المملكة العربية السعودية، مجموعة الفنان ص. 70-71

24. ديوسقوريدس الترجمة العربية لكتاب "المادة الطبية" De Materia Medica، منمنمة تمثل خشب العود إسبانيا نسخة مؤرخة القرن الثاني عشر حجر وغواش على ورق 24.5 × 18.5 سم باريس، المكتبة الوطنية الفرنسية، قسم المخطوطات الشرقية، م. عربية 2850، المجلد 86v ص. 72

25. قمع القرنان الثامن عشر والتاسع عشر زجاج 42.5 سم لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، GLS 324 ص. 78

26. قارورة ماء ورد القرنان العاشر والحادي عشر ورقة فضية مطروقة ومنقوشة، زخرفة منقوشة، مذهبة، قاعدة منحوتة غير لامعة 19.1 × 11.4 سم لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، MTW 1117 ص. 79

27. دينيس دايلو الحصاد في مرتفعات الأطلس المتوسط الأطلس المتوسط، المغرب 2015 ثلاث صور فوتوغرافية تناظرية (طباعة المعرض) 80 × 80 سم مجموعة الفنان ص. 81

28. حوت العنبر المحيط الهندي 2018 10 سم كاديفا باثي، أسنبيير سور سين، فرنسا ص. 82

29. برنار جيرمان-إتيان دو لاسبييد "التاريخ الطبيعي للحيتانيات" حوت العنبر ذو الدماغ الكبير 1. حوت العنبر ترامبو 2. حوت العنبر فرنسا باريس، فرنسا 1804 نسخة مطبوعة (لوحة 10، ص. 165) 30 × 43 سم استنساخ لمعرض باريس، المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي، 10 527 ص. 83

30. لوح سومري الأمة، العراق 2112-2004 ق.م. طين 14.5 × 9.5 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار الشرقية، AO 6042 ص. 86

31.	نقش ليرينون (تحضير الزئبق) مصر 589-595 ق.م. حجر جيري، نقش بارز 29 × 119 × 8 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار المصرية، E11377 ص. 88-89
32.	شمس الدين الدمشقي "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" القرن الرابع عشر حبر وغواش على ورق 27 × 19 سم باريس، المكتبة الوطنية الفرنسية، قسم المخطوطات الشرقية، م. عربية 5858 المجلد 101r-102v ص. 90-91
33.	ريركريت تيرافانيجا بدون عنوان (ماء ورد دمشق) 2015 نسخة طبق الأصل من نموذج لمعمل تقطير ماء الورد نحاس وزجاج 120 × 50 سم باريس، معرض شانتال كروسل، RT15 15 ص. 93
34.	زجاجة عطر مصر القرن التاسع زجاج أخضر، زخرفة منحوتة 11 × 2 سم باريس، متحف الفنون الزخرفية، هدية يدوية من ماري-آن هوميرغ، مودّعة في متحف اللوفر، قسم الفنون الإسلامية، AD14473 ص. 94
35.	فارورة عطر مصر أو سوريا القرن التاسع - القرن الحادي عشر زجاج منفوخ 11.3 × 2.4 سم باريس، متحف معهد العالم العربي، ص. 94
36.	زجاجة عطر كروية مسطحة مصر القرنان العاشر والحادي عشر زجاج أزرق منفوخ، زخرفة شبّاك مطعمة 27 × 6.2 × 1.8 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار المصرية، مودّعة بقسم الفنون الإسلامية، E10907 ص. 94
37.	فلاديمير أنطاكي الحزّاس - عبدالله محمد أبا الخيل الرياض، المملكة العربية السعودية 2024 طباعة على ورق فني مصفح على ورق ألومينيوم ديوند 240 × 160 سم المملكة العربية السعودية، مجموعة الفنان ص. 101
38.	فلاديمير أنطاكي الحزّاس - إبراهيم بن منقاش الرياض، المملكة العربية السعودية 2024 طباعة على ورق فني مصفح على ورق ألومينيوم ديوند 240 × 160 سم المملكة العربية السعودية، مجموعة الفنان ص. 98
39.	فلاديمير أنطاكي الحزّاس - عمر محمد أبا الخيل الرياض، المملكة العربية السعودية 2024 طباعة على ورق فني مصفح على ورق ألومينيوم ديوند 240 × 160 سم المملكة العربية السعودية، مجموعة الفنان ص. 100
40.	فلاديمير أنطاكي الحزّاس - مشعل النعمي الرياض، المملكة العربية السعودية 2024 طباعة على ورق فني مصفح على ورق ألومينيوم ديوند 240 × 160 سم المملكة العربية السعودية، مجموعة الفنان ص. 101
41.	دينيس دايلو الحصاد في مرتفعات الأطلس المتوسط الأطلس المتوسط، المغرب 2015 ثلاث صور فوتوغرافية تناظرية (طباعة المعرض) 80 × 80 سم مجموعة الفنان ص. 102
42.	ثلاث مزهريات كيمياء حجر جيري منحوت ومنقوش نقش بارز زجاج 72 × 33 × 31.5 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار الشرقية، AO 28377 ص. 109
43.	ظافر الشهري عسيري 3 عسير، المملكة العربية السعودية 2021 صورة فوتوغرافية المملكة العربية السعودية، وزارة الثقافة ص. 105
44.	ديمة سروجي تكوين مجوّف: مجموعة العطور (حامل زيت العود القابل للارتداء) فلسطين 2019 بيركس وردي، صناعة يدوية 10 × 3 × 1 سم باريس، متحف معهد العالم العربي ص. 106
45.	ديمة سروجي تكوين مجوّف: مجموعة العطور (حامل زيت العود القابل للارتداء) فلسطين 2019 بيركس وردي، صناعة يدوية 10 × 3 × 1 سم باريس، متحف معهد العالم العربي ص. 106
46.	المذبح (محرقة بخور) تدمر، سوريا القرن الثاني حجر جيري منحوت ومنقوش نقش بارز زجاج 72 × 33 × 31.5 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار الشرقية، AO 28377 ص. 109
47.	ريم الناصر رصاص كامل (رصاص الياسمين العربي) جازان، المملكة العربية السعودية براعم الياسمين (عمل تركيبي مُعاد إنتاجه للمعرض) إنتاج: 40 × 66 سم؛ الفستان: 144 × 41 سم؛ السروال: 30 × 90 سم؛ حقالة الصدر: 18 × 92 سم؛ تاج الطاووس: 40 × 120 سم؛ القلادة: 60 سم؛ زوج الأحذية عالية الكعب: 26 × 9 سم؛ الخزام: 60 × 20 سم؛ الخاتم: 2 × 15 سم؛ الأقراط: 2.1 × 0.5 سم؛ الشعر المستعار: 66 × 40 سم؛ الكورسيه: 48 × 92 سم، أتر غاليري بجدة ص. 112
48.	هشام برادة مسك الليل 2015 ثلاثة مرايا زجاجية ملونة، Cestrum Nocturnum، إضاءة البستنة، إضاءة خافتة 200 × 50 سم (كل واجهة عرض) ليون، متحف ليون للفن المعاصر ص. 115
49.	هدى لطفي حديقة العطور دبي، الإمارات العربية المتحدة 2008 صور فوتوغرافية وقصاصات صحف وأشياء تم العثور عليها 110 × 10 × 160 سم دبي، معرض الخط الثالث ص. 116-117
50.	ديمة سروجي تكوين مجوّف: مجموعة العطور (حامل زيت العود القابل للارتداء) فلسطين 2019 بيركس أسود، صناعة يدوية 10 × 3 × 5 سم باريس، متحف معهد العالم العربي ص. 121
51.	مغرفة ماء تركيا 1577-1578 ورقة فضية، آثار تشكيل بالرجو والتذهيب، مطّعمة بالعجين الأسود، أحجار شبه كريمة لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، MTW9o6 ص. 124
52.	مكشطة الحقام في الشرق الأدنى القرنان الحادي عشر والثاني عشر سيراميك غير مطلي؛ زخرفة مصبوبة 105 سم باريس، متحف معهد العالم العربي، ص. 125
53.	صحن الصابون تركيا أوائل القرن التاسع عشر نحاس ملبع جزئياً، زخرفة بالرجو ومخرمة 12 × 20 سم باريس، مجموعة ماري كريستين دافيد، مودّعة في متحف معهد العالم العربي ص. 125
54.	حجر الخفاف في علبة بيضاوية مزودة بمقبض على شكل طائر تركيا أوائل القرن التاسع عشر فضة، زخرفة بالرجو مع إضافات خارجية 5.9 × 9 سم باريس، مجموعة ماري كريستين دافيد، مودّعة في متحف معهد العالم العربي ص. 125
55.	علبة بيضاوية لحجر الخفاف مزودة بمقبض على شكل طائر إيران القرن التاسع عشر فضة، زخرفة بالرجو مع إضافات خارجية 4 × 9 سم باريس، مجموعة ماري كريستين دافيد، مودّعة في متحف معهد العالم العربي ص. 125
56.	زوج من نعال الحمام (القباقب) سوريا حوالي 1850 خشب مطعم بالصدف والفضة 35 × 23 × 23 سم باريس، متحف معهد العالم العربي، ص. 125
57.	مكشطة الحقام على شكل قارض القرن الثاني عشر سيراميك غير مطلي، زخرفة مصبوبة ومحفورة 10 سم باريس، مجموعة ماري كريستين دافيد، مودّعة في متحف معهد العالم العربي ص. 126
58.	فارورة على شكل كمثري القرنان التاسع والحادي عشر برونز مصبوب 14.1 × 7.5 سم باريس، متحف معهد العالم العربي، ص. 127
59.	فارورة بلسم (تمثال نصفي نوبي) القرن الثاني برونز مصبوب 11.6 × 9.8 × 6.9 سم ليون، متحف الفنون الجميلة في ليون، E227-2 ص. 128
60.	شاهدة مقوسة مصر 1213-1279 ق.م. حجر جيري، نقش غائر مجوف 55.8 × 37.1 × 7.3 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار المصرية، رقم N247 ص. 130
61.	شاهدة مقوسة مصر 1353-1427 ق.م. حجر جيري، نقوش بارزة ومجوفة، رسم 71 × 52 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار المصرية، رقم N223 ص. 131

39.	فلاديمير أنطاكي الحزّاس - عمر محمد أبا الخيل الرياض، المملكة العربية السعودية 2024 طباعة على ورق فني مصفح على ورق ألومينيوم ديوند 240 × 160 سم المملكة العربية السعودية، مجموعة الفنان ص. 100
40.	فلاديمير أنطاكي الحزّاس - مشعل النعمي الرياض، المملكة العربية السعودية 2024 طباعة على ورق فني مصفح على ورق ألومينيوم ديوند 240 × 160 سم المملكة العربية السعودية، مجموعة الفنان ص. 101
41.	دينيس دايلو الحصاد في مرتفعات الأطلس المتوسط الأطلس المتوسط، المغرب 2015 ثلاث صور فوتوغرافية تناظرية (طباعة المعرض) 80 × 80 سم مجموعة الفنان ص. 102
42.	ثلاث مزهريات كيمياء حجر جيري منحوت ومنقوش نقش بارز زجاج 72 × 33 × 31.5 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار الشرقية، AO 28377 ص. 109
43.	ظافر الشهري عسيري 3 عسير، المملكة العربية السعودية 2021 صورة فوتوغرافية المملكة العربية السعودية، وزارة الثقافة ص. 105
44.	ديمة سروجي تكوين مجوّف: مجموعة العطور (حامل زيت العود القابل للارتداء) فلسطين 2019 بيركس وردي، صناعة يدوية 10 × 3 × 1 سم باريس، متحف معهد العالم العربي ص. 106
45.	ديمة سروجي تكوين مجوّف: مجموعة العطور (حامل زيت العود القابل للارتداء) فلسطين 2019 بيركس وردي، صناعة يدوية 10 × 3 × 1 سم باريس، متحف معهد العالم العربي ص. 106
46.	المذبح (محرقة بخور) تدمر، سوريا القرن الثاني حجر جيري منحوت ومنقوش نقش بارز زجاج 72 × 33 × 31.5 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار الشرقية، AO 28377 ص. 109
47.	ريم الناصر رصاص كامل (رصاص الياسمين العربي) جازان، المملكة العربية السعودية براعم الياسمين (عمل تركيبي مُعاد إنتاجه للمعرض) إنتاج: 40 × 66 سم؛ الفستان: 144 × 41 سم؛ السروال: 30 × 90 سم؛ حقالة الصدر: 18 × 92 سم؛ تاج الطاووس: 40 × 120 سم؛ القلادة: 60 سم؛ زوج الأحذية عالية الكعب: 26 × 9 سم؛ الخزام: 60 × 20 سم؛ الخاتم: 2 × 15 سم؛ الأقراط: 2.1 × 0.5 سم؛ الشعر المستعار: 66 × 40 سم؛ الكورسيه: 48 × 92 سم، أتر غاليري بجدة ص. 112
48.	هشام برادة مسك الليل 2015 ثلاثة مرايا زجاجية ملونة، Cestrum Nocturnum، إضاءة البستنة، إضاءة خافتة 200 × 50 سم (كل واجهة عرض) ليون، متحف ليون للفن المعاصر ص. 115
49.	هدى لطفي حديقة العطور دبي، الإمارات العربية المتحدة 2008 صور فوتوغرافية وقصاصات صحف وأشياء تم العثور عليها 110 × 10 × 160 سم دبي، معرض الخط الثالث ص. 116-117
50.	ديمة سروجي تكوين مجوّف: مجموعة العطور (حامل زيت العود القابل للارتداء) فلسطين 2019 بيركس أسود، صناعة يدوية 10 × 3 × 5 سم باريس، متحف معهد العالم العربي ص. 121
51.	مغرفة ماء تركيا 1577-1578 ورقة فضية، آثار تشكيل بالرجو والتذهيب، مطّعمة بالعجين الأسود، أحجار شبه كريمة لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، MTW9o6 ص. 124
52.	مكشطة الحقام في الشرق الأدنى القرنان الحادي عشر والثاني عشر سيراميك غير مطلي؛ زخرفة مصبوبة 105 سم باريس، متحف معهد العالم العربي، ص. 125
53.	صحن الصابون تركيا أوائل القرن التاسع عشر نحاس ملبع جزئياً، زخرفة بالرجو ومخرمة 12 × 20 سم باريس، مجموعة ماري كريستين دافيد، مودّعة في متحف معهد العالم العربي ص. 125
54.	حجر الخفاف في علبة بيضاوية مزودة بمقبض على شكل طائر تركيا أوائل القرن التاسع عشر فضة، زخرفة بالرجو مع إضافات خارجية 5.9 × 9 سم باريس، مجموعة ماري كريستين دافيد، مودّعة في متحف معهد العالم العربي ص. 125
55.	علبة بيضاوية لحجر الخفاف مزودة بمقبض على شكل طائر إيران القرن التاسع عشر فضة، زخرفة بالرجو مع إضافات خارجية 4 × 9 سم باريس، مجموعة ماري كريستين دافيد، مودّعة في متحف معهد العالم العربي ص. 125
56.	زوج من نعال الحمام (القباقب) سوريا حوالي 1850 خشب مطعم بالصدف والفضة 35 × 23 × 23 سم باريس، متحف معهد العالم العربي، ص. 125
57.	مكشطة الحقام على شكل قارض القرن الثاني عشر سيراميك غير مطلي، زخرفة مصبوبة ومحفورة 10 سم باريس، مجموعة ماري كريستين دافيد، مودّعة في متحف معهد العالم العربي ص. 126
58.	فارورة على شكل كمثري القرنان التاسع والحادي عشر برونز مصبوب 14.1 × 7.5 سم باريس، متحف معهد العالم العربي، ص. 127
59.	فارورة بلسم (تمثال نصفي نوبي) القرن الثاني برونز مصبوب 11.6 × 9.8 × 6.9 سم ليون، متحف الفنون الجميلة في ليون، E227-2 ص. 128
60.	شاهدة مقوسة مصر 1213-1279 ق.م. حجر جيري، نقش غائر مجوف 55.8 × 37.1 × 7.3 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار المصرية، رقم N247 ص. 130
61.	شاهدة مقوسة مصر 1353-1427 ق.م. حجر جيري، نقوش بارزة ومجوفة، رسم 71 × 52 سم باريس، متحف اللوفر، قسم الآثار المصرية، رقم N223 ص. 131

62.	مرش من الفضة الجرة النبوية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية القرن الثالث عشر الهجري / القرن التاسع عشر الميلادي فضة الرياض،هيئة المتاحف، 3018 ص. 132
63.	مبخرة أواخر القرن الثاني عشر - أوائل القرن الثالث عشر سبائك النحاس المصبوب، زخرفة محفورة ومخرمة 27 × 27 × 8.7 سم لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، MTW 1525 ص. 134
64.	مبخرة على شكل حمامة القرن الثاني عشر نحاس مصبوب 18.5 × 21 × 9 سم لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، MTW100 ص. 135
65.	كرة البخور سوريا أواخر الخامس عشر - أوائل القرن السادس عشر نحاس مطروق ومخرم، منقوش بتطعيمات من الفضة والمعجون الأسود 10 × 9.5 سم لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، MTW 413 ص. 136
66.	مجمره مزخرفة من الحجر الكلسي قرية الفاو، منطقة الرياض، المملكة العربية السعودية القرن الرابع قبل الميلاد - القرن الرابع الميلادي حجر كلسي الرياض، هيئة المتاحف، E1، 12 ص. 138
67.	مجمره منقوشة من الحجر الرملي تيماء، منطقة تبوك، المملكة العربية السعودية الألف الأول قبل الميلاد حجر رملي الرياض، هيئة المتاحف، 2110 ص. 138
68.	مبخرة من الحديد الجرة النبوية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية القرن السابع عشر الميلادي حديد الرياض، هيئة المتاحف، 2999 ص. 139
69.	منخل من الفضة الجرة النبوية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية 1864-1865 م. فضة الرياض، هيئة المتاحف، 3014 ص. 139
70.	صندوق من النحاس والقماش يستخدم لحفظ البخور مجهول المصدر القرن الثالث عشر الهجري / القرن التاسع عشر الميلادي نحاس وقماش الرياض، هيئة المتاحف، 2239 ص. 140
71.	صندوق من النحاس مزّين بديك القرن الثالث عشر الهجري / القرن التاسع عشر الميلادي نحاس الرياض، هيئة المتاحف، 2648 ص. 140
72.	نصب منقوش من الحجر الرملي يُعرف باسم "نصب الحمراء" (مستنسخ) قصر الحمراء، تيماء، منطقة تبوك، المملكة العربية السعودية القرن السادس قبل الميلاد حجر رملي الرياض، هيئة المتاحف، 1020 ص. 141
73.	مذبح مزّين بمشاهد شعائرية يُعرف باسم "مكعب الحمراء" (مستنسخ) قصر الحمراء، تيماء، منطقة تبوك، المملكة العربية السعودية القرن السادس قبل الميلاد حجر رملي الرياض، هيئة المتاحف، 1021 ص. 141
74.	مِرثَسٌ تركيا أو آسيا الوسطى أواخر القرن الثامن عشر - أوائل القرن التاسع عشر فضة مذهّبة ومصبوبة، لؤلؤ، فيروز، عقيق ألماندين ومعجون الزجاج 23.5 سم لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، MTW 1426 ص. 142
75.	عائشة السويدي مدخن الدوحة، قطر 2014 بيركس وزجاج منفوخ (أخضر) 7.5 × 17.7 سم الدوحة، مجموعة الفنانة ص. 143
76.	عائشة السويدي مدخن الدوحة، قطر 2014 بيركس وزجاج منفوخ (أحمر) 7.6 × 22.8 سم الدوحة، مجموعة الفنانة ص. 143
77.	عائشة السويدي مدخن الدوحة، قطر 2014 بيركس وزجاج منفوخ (برتقالي) 7.6 × 15.2 سم الدوحة مجموعة الفنانة ص. 143
78.	إلهام الدوسري الصبابات: كرم الضيافة وتعاضد النساء الرياض، المملكة العربية السعودية 2021 4 من أصل 10 صور فوتوغرافية، جزء من بحث مصور المملكة العربية السعودية، مجموعة الفنّان ص. 144-145
79.	لوران ماريشال، بيتي 2 فرنسا 2011 (تاريخ الإنتاج الأول) كركم، زنجبيل، زعتر، سماق، فلفل أبيض (عمل تركيبي تم إنشاؤه في الموقع للمعرض عام 2023) 600 × 500 سم مجموعة الفنان ص. 148-149
80.	صندوق الربع الأول من القرن الثالث عشر برونز مصبوب ومنحوت، مطّعم بالذهب والفضة والنحاس الأحمر 13.5 × 14 × 12 سم ليون، متحف الفنون الجميلة في ليون، D 567 ص. 150
81.	زجاجة صغيرة على قاعدة، ربما تكون من مجموعة أدوات تجميل مصر أو بلاد ما بين النهرين القرن التاسع - القرن العاشر زجاج أصفر-أخضر عديم اللون، مصبوب أو منفوخ في قالب مفتوح، مصنوع بعمود ومقطع بعجلة ذات جوانب مقطوعة 5.7 × 8 سم (زجاجة)، 1.6 × 6.2 × 6.2 سم (صينية) لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، GLS171 ص. 151
82.	مزرعة المورينغا بيريفرينا إخراج إستوديو كاتشب مايو السعودية 2022 مقطع فيديو، 17 ثانية الوكالة الفرنسية لتنمية العلا غزال المسك إخراج ديلان دوبو سيبيريا 2023 مقطع فيديو، 22 ثانية Animalogic شجرة العود إخراج مايكل كريستوفر براون بنغلاديش 2019 مقطع فيديو، 20 ثانية www.michaelchristopherbrown.com دموع شجرة اللبان [البوسويلية المقدسة] المر الحجازي سلطنة عمان 2023 غدد المسك لعيّنة من غزال المسك (Moschus moschiferus) تونكين (فيتنام) مارس 1892 (الإدراج في المجموعات) 12 × 8 × 8 سم باريس، المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي (هدية من م. كلوتز)، 9180 غزال مسك طبيعي Moschus moschiferus) حديقة حيوانات لايبزيغ (ألمانيا) 2000-2004 22 × 80 × 22 سم باريس، المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي، 994-MNHNZM-2022
83.	ظافر الشهري عسيري 1 و 2 عسير، المملكة العربية السعودية 2021 صورتان فوتوغرافيتان المملكة العربية السعودية، وزارة الثقافة ص. 154-155

78.	إلهام الدوسري الصبابات: كرم الضيافة وتعاضد النساء الرياض، المملكة العربية السعودية 2021 4 من أصل 10 صور فوتوغرافية، جزء من بحث مصور المملكة العربية السعودية، مجموعة الفنّان ص. 144-145
79.	لوران ماريشال، بيتي 2 فرنسا 2011 (تاريخ الإنتاج الأول) كركم، زنجبيل، زعتر، سماق، فلفل أبيض (عمل تركيبي تم إنشاؤه في الموقع للمعرض عام 2023) 600 × 500 سم مجموعة الفنان ص. 148-149
80.	صندوق الربع الأول من القرن الثالث عشر برونز مصبوب ومنحوت، مطّعم بالذهب والفضة والنحاس الأحمر 13.5 × 14 × 12 سم ليون، متحف الفنون الجميلة في ليون، D 567 ص. 150
81.	زجاجة صغيرة على قاعدة، ربما تكون من مجموعة أدوات تجميل مصر أو بلاد ما بين النهرين القرن التاسع - القرن العاشر زجاج أصفر-أخضر عديم اللون، مصبوب أو منفوخ في قالب مفتوح، مصنوع بعمود ومقطع بعجلة ذات جوانب مقطوعة 5.7 × 8 سم (زجاجة)، 1.6 × 6.2 × 6.2 سم (صينية) لندن، مجموعة ناصر د. خليلي للفن الإسلامي، GLS171 ص. 151
82.	مزرعة المورينغا بيريفرينا إخراج إستوديو كاتشب مايو السعودية 2022 مقطع فيديو، 17 ثانية الوكالة الفرنسية لتنمية العلا غزال المسك إخراج ديلان دوبو سيبيريا 2023 مقطع فيديو، 22 ثانية Animalogic شجرة العود إخراج مايكل كريستوفر براون بنغلاديش 2019 مقطع فيديو، 20 ثانية www.michaelchristopherbrown.com دموع شجرة اللبان [البوسويلية المقدسة] المر الحجازي سلطنة عمان 2023 غدد المسك لعيّنة من غزال المسك (Moschus moschiferus) تونكين (فيتنام) مارس 1892 (الإدراج في المجموعات) 12 × 8 × 8 سم باريس، المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي (هدية من م. كلوتز)، 9180 غزال مسك طبيعي Moschus moschiferus) حديقة حيوانات لايبزيغ (ألمانيا) 2000-2004 22 × 80 × 22 سم باريس، المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي، 994-MNHNZM-2022
83.	ظافر الشهري عسيري 1 و 2 عسير، المملكة العربية السعودية 2021 صورتان فوتوغرافيتان المملكة العربية السعودية، وزارة الثقافة ص. 154-155

Crédits et copyrights	حقوق الصورة والاعتمادات	وزارة الثقافة السعودية <p>طريق الملك فيصل، البحري الدرعية ص. ب. 3424 13711 الرياض، المملكة العربية السعودية www.moc.gov.sa</p> <p>دار سكيرا للنشر الشركة المساهمة بلازو كاساتي ستامبا شارع تورينو 61 20123 ميلانو، إيطاليا www.skira.net</p> <p>تنسيق المشروع إيما كافازيني، إيفا فانزبيلًا</p> <p>الإدارة الفنية لويجي فيوري</p> <p>التحرير عبد الودود العمراني، لحساب شركة سكريبتوم، روما فرانشيسكا بوفيّتي</p> <p>تنفيذ التصميم سبرينا ياريني فيصل الزوالي</p> <p>الترجمة عبد الودود العمراني، لحساب شركة سكريبتوم، روما</p> <p>جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي شكلٍ من الأشكال، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير الفوتوغرافي أو التسجيل أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.</p> <p>طبع في إيطاليا. الطبعة الأولى</p> <p>© 2024 وزارة الثقافة السعودية وسكيرا للنشر</p> <p>الرقم المعياري لدار سكيرا للنشر: 978-88-572-5279-7</p> <p>يتم توزيع هذا الإصدار بواسطة تامس وهودسون المحدودة، A181 هاي هولبورن، لندن، WC1V 7QX، المملكة المتحدة</p>
© ADAGP, 2024 / by SIAE 2024: p. 115	© musée du quai Branly - Jacques Chirac, Dist. RMN-Grand Palais / image musée du quai Branly-Jacques Chirac / dist. Foto Scala, Firenze : p. 95, p. 127, p. 137, p. 152, p. 153	© Muséum national d'Histoire naturelle : p. 83
© Abdulrahman Aldugilby / Artist collection : pp. 70-71	© Museums Commission Riyadh : p. 8, p. 132, p. 138, p. 139, p. 140, p. 141	© Nadim Asfar : p. 64, p. 65
© Vladimir Antaki / Artist collection : pp. 98-101	© Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art / © Khalili Family Trust : p. 2, p. 22, p. 62, p. 78, p. 79, p. 104, p. 126, p. 151, p. 134, p. 135, p. 136, p. 142	© Reem al Nasser / Courtoisie de l'artiste et ATHR : p. 112
© Dhafer Alshehri / Ministry of Culture : p. 105, p. 154-155	© Studio Magique : p. 15, p. 28, p. 34	© Tetiana Kovalenko / Alamy Stock Photo : p. 82
© Alejandro Arango : p. 143	© Reem al Nasser / Courtoisie de l'artiste et ATHR : p. 112	© Victoria and Albert Museum, London : p. 67, p. 80, p. 84
© Bibliothèque nationale de France : p. 42, p. 43, p. 45, p. 46, p. 51, p. 72, p. 90, p. 91	© Farah Al Qasimi. Courtoisie de l'artiste et The Third Line, Dubaï : p. 122, p. 123	Courtoisie de l'artiste et Galerie Chantal Crousel, Paris / Photo © Martin Argyroglo : p. 93
© British Library Board. All Rights Reserved / Alamy : p. 48	© Furusiyya Art Foundation / Fabrice Cateloy : p. 24, p. 56	King Saud University : p. 61
© Denis Dailleux / Agence VU : p. 12, p. 81, p. 102	© Furusiyya Art Foundation / Alberto Ricci : p. 24	
© Elham Dawsari / Artist collection : pp. 144-145	© Hicham Berrada © Collection maLYON / Photo © Blaise Adilon / © Adagp, Paris 2024 / by SIAE 2024: p. 115	
© Farah Al Qasimi. Courtoisie de l'artiste et The Third Line, Dubaï : p. 122, p. 123	© Huda Lutfi. Courtoisie de l'artiste et The Third Line, Dubaï : p. 116, p. 117	
© Juliette Gresland : p. 30	© Laurent Mareschal / Photo © Laurent Mareschal / ADAGP / by SIAE 2024: p. 148-149	
© Laurent Mareschal / Photo © Tami Notsani / ADAGP / by SIAE 2024 : p. 146	© Leyde University Libraries : p. 38, p. 41	
© Lyon MBA / Photo © Alain Basset : p. 18, p. 19, p. 128, p. 150	© Lyon MBA / Photo © Alain Basset : p. 18, p. 19, p. 128, p. 150	
© musée de l'IMA / Nabil Boutros : p. 126	© musée de l'IMA / Philippe Maillard : p. 54, p. 125, p. 127	
© musée de l'IMA / Alberto Ricci : p. 126	© musée de l'IMA / Elisabeth Savel : p. 94, p. 151	
© musée de l'IMA / Elisab��th Savel : p. 94, p. 151	© musée du Louvre, Dist. RMN-Grand Palais / Photo © Rapha��l Chipault / dist. Foto Scala, Firenze : p. 57, p. 59, p. 86	
© musée du Louvre, Dist. RMN-Grand Palais / Photo © Christian D��camps / dist. Foto Scala, Firenze : p. 88, p. 89	© musée du Louvre, Dist. RMN-Grand Palais / Photo © Hugues Dubois / dist. Foto Scala, Firenze : p. 17	
© musée du Louvre, Dist. RMN-Grand Palais / Photo © St��phane Mar��challe / dist. Foto Scala, Firenze : p. 58	© musée du Louvre, Dist. RMN-Grand Palais / Photo © Georges Poncet / dist. Foto Scala, Firenze : p. 36, p. 130	
© musée du Louvre, Dist. RMN-Grand Palais / Photo © Georges Poncet / dist. Foto Scala, Firenze : p. 36, p. 130	© musée du Louvre, Dist. RMN-Grand Palais / Photo © Franck Raux / dist. Foto Scala, Firenze : p. 109, p. 131	
© musée du Louvre, Dist. RMN-Grand Palais / Photo © Claire Tabbagh / dist. Foto Scala, Firenze : p. 94	© musée du Louvre, Dist. RMN-Grand Palais / Photo © Claire Tabbagh / Collections num��riques / dist. Foto Scala, Firenze : p. 94	

